نور القرآن

مقدمة إدارة الموقع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

قال الله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)(الإسراء:٩)

كثيرٌ من التساؤلات تطرأ عند قراءة القرآن!

هل القرآن نور ؟

هل هو كفيل بأن يَحُلّ جميع المشاكل منذ بداية الخلق إلى يوم القيامة ؟

هل هذا القرآن نزل لعهد النبي ﷺ فقط ؟ أم ما زال يعيش معنا خطوةً بخطوة ؟

الله - سبحانه وتعالى - أجابنا في القرآن إجاباتٍ وافياتٍ شافياتٍ لجميع التساؤلات ،

عُرِضَ بعضٌ منها في برنامج : من نور القرآن

للشيخ الدكتور عبد المحسن الأحمد - أحسن الله إليه -

فرُؤي تفريغه لتعمّ فائدته .. و هاهو بفضل الله بين أيديكم

نسأله سبحانه العفو والغفران والإخلاص والقَبول

ما كان من صواب فمن الله وحده ، وما كان من خطأ فمن أنفسنا والشيطان .

والحمد لله رب العالمين.

إدارة الموقع

١٤٣٨\٩\١٤هـ

هل القرآن نور ؟

هل هو كفيل أن يحل مشاكلي ومشاكلك منذ أن نُخلق إلى يوم القيامة ؟ هل هذا القرآن نزل لعهد النبي صلى الله عليه وسلم فقط ؟ أم مازال يعيش معي ومعك خطوةً بخطوة ؟

سُمِّي هذا البرنامج بـ (من نور القرآن) لأن نور القرآن أعظم نور , دعونا نتفكر فيه ونستمع لآياته , لماذا أُنزل هذا الكتاب ؟ كل الأسئلة سيجيبك الله عليها في هذا القرآن قال الله عز و جل (وَكُل شَيْء) كل شيء أي : كل لحظة في حياتك , في مكتبك , في عملك , مع أهلك مع زوجك وأولادك وأنت تنظر لولدك تلاعبه تخاطبه(وَكُل شَيْء فَصّلناه)لم يقل ذكرناه أو عرّجنا عليه ، بل قال (وَكُل شَيْء فَصّلنَاه تَفْصِيلا)كل شيء؟ نعم وربي كل شيء.

اقرأ معي (آلر * كِتَابٌ أُحكِمت آيَاتُه)لم يقل أحكمت سُوَرَهُ ! لا , بل قال (أُحكِمت آيَاتُه)كل آية قالها في القرآن لها سبب ، (كِتَابٌ أُحكِمت آيَاتُه)فقط ؟ لا (ثُمَّ فُصِّلت) القضية مفصلة (مِن لَدُن حَكِيم خَبِير) سبحان الله , أي كل شيء تحتاجه ستجد تفصيله في القرآن , أقسم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أمام الصحابة : "والله" على ماذا يقسم عبدالله , ويقسم بالله يقول : " والله لو أضعت عقال بعيري "لو خرجت لأبحث عن عقال بعيري "والله لو أضعت عقال بعيري لوجدت ذلك في القرآن "

هل يبالغ ابن عباس ؟

لا والله ,هو يعلم أن الطريقة التي سيجد فيها ذاك العقال وإن وجدها ماذا يحصل كل ذلك في القرآن ،يعرف أنه إذا حزمه أمر (وَقَالَ رَبُّكم ادعُوني) ما هذا الفهم عند ابن عباس ؟!

والله لو ذقنا أنا و أنت أخي الغالي وأختي هذا الكلام سنعرف ما معنى كلام ابن عباس , بل وأنت جالس بين أهلك و قُدم لك الماء وقبل أن تشرب ، هذا المشهد مذكور في القرآن لا يعيه أيّ أحد لا يعيه إلا من فتح الله عليه وفتح عليه من نور القرآن ،تشرب الماء يقول الله عز وجل (أَفَرءيتُم المَاء)نعم يا رب نرى الماء (أَفَرئيتُم المَاء الذّي تَشَربُون أَأَنتُم) اسأل نفسك (أَنزَلْتُموه مِنَ المُزْن) أنت أنزلته بمعداتك وأدواتك ؟ بيدك وساعدك؟ لا ، بمصانعك ؟ لا (أَأَنتُم أَنزَلْتُموه مِنَ المُزْن أَم نَحْنُ المُنزِلُون) أجب على السؤال ! ستتذوق للماء طعمين طعم يرتوي منه حلقك وجسدك وطعم يرتوي منه ذاك القلب وقال بالآية التي بعدها (لَو نَشاَء) ماذا ستفعل يا رب إذا شئت ؟ كيف سيكون الماء الذي نشربه ! (لَو نَشاَء جَعلنه أُجَاجَاً)لو شئت أجعلك في عمرك كله ما ذقت هذا ،وجعلت كل الماء الذي تشربه من البحر ، و بدل ما ترتوي تصبح تشرب وتعطش زيادة ، إذا تبينت فيه هذه الآيات (لَو نَشاَء جَعلنه أُجَاجَاً)المطلوب ؟ (فَلَولَا تَشكُرُون) شربت الماء وابتلت عروقك تعرف أنك ما أنزلته من المزن وأن الذي أنزله هو الله فتشكر من أعماق قلبك ، نعم وأنت تشرب(فَلْيَنظُر الإِنسَانُ إِلى طَعَامه) انظر لطعامك: أرز ، دقيق ، شعير ، خبز ، جميع أنواع الأطعمة وتفكر في قول الله عز وجل (فَلْيَنظُر الإِنسَانُ إِلى طَعَامه) أنت إنسان لابد تفكر في هذه الآية وعمرك ٤٠ سنة وكل الوجبات التي أكلتها (فَلْيَنظُر الإِنسَانُ إِلى طَعَامه)انظر إليها كلها من الذي رزقك إياها ؟ الله ، حتى وأنا آكل أذكر الله؟ نعم ، (أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبّا) سبحانك يا رب ، يعني حتى وأنا آكل ؟ لا بل حتى وأنت تتنفس ، وأنت تراني وأراك وترى أهلك و يرونك ، انظر لا تخرج هذه الكلمات إلا بنفس هذه الأنفاس نعمة من الله .

وأنت تنظر إلى أنفاسك وقلبك وتنظر إلى أطفالك وتنظر إلى كل ما أعطاه الله الحياة تتفكر في قول الله عز وجل (وَمَابِكُم)يدك أنت تحركها و غيرك معاق لا يقدر يحرك , وعيناك تقدر ترى فيها و غيرك لا يرى أطفاله ولا يعرف أشكالهم ، خُلق على الأرض يمشي ويرجع لم يذق نعمة البصر هذه كلها (وَمَابِكُم مِن نِعْمَة) كل نعمة (فَمِنَ الله) لاحظت ! كل شيء يذكرك بالله ، الله عز وجل يقول (يَاأَيُّها النَّاس)أنا من الناس وأنت أخي من الناس (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)نور , وفي الآية الأخرى(قَدْ جَاءكُم مِنَ الله نُور) نور ، تخيل إنسان في ظلام ! (قَدْ جَاءكُم مِنَ الله نُور وَكِتَابٌ مُّبِين) ماذا به هذا الكتاب (يَهْدِي بِه الله)الهادي من ؟ الله ، السبب ما هو ؟هذا الكتاب(يَهْدِي بِه الله) من يهدي؟ من قرأ؟ من سمع؟ لا ،من حفظ؟ لا ،إذاً من هو يا رب ؟ (يَهْدِي بِه الله مَّن اتّبع) كلمة جميلة تستحق نضحي بحياتنا كلها لأجل نعرف معنى (اتّبع) .

يسمع(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) أنه خلاص اتّبع و(قُرْان الفَجْر)اتّبع (قُل للمُؤمِنين يَغُضّوا مِن أَبْصَارِهم) (لَايَغتَب بَعضُكُم بَعْضَا)ضبط لكل الجوارح , ما جزاء اتبع ؟ (يَهْدِي بِه الله مَّن اتّبع رِضْوَانه)إلى أين يهديه (سُبَلَ السَّلَام) يبدأ يشعر بحياته طعم ومعنى , حياته كلها هدف ومغزى (يَهْدِي بِه الله مَّن اتّبع رِضْوَانه سُبَلَ السَّلَام) أكمل الآية التي بعدها (وَيُخرجَهُم من الظلمات إِلَى النُّور)يذوق حياة أخرى , تخيل أحدهم يقود سيارة وهو مغمض العينين ما الذي سيحدث له ؟ حوادث بكل مكان ثم فجأة فتح , هذا الذي سيحدث (يَهْدِي بِه الله مَّن اتّبع رِضْوَانه سُبَلَ السَّلَام).

ما الذي سيحدث بعدها؟ (وَيُخرجَهُم)الذين يريدون الهداية يخرجهم إلى أين (وَيُخرجَهُم من الظلمات إِلَى النُّور بِإِذْنِهِ وَيَهدِيهم إِلَى صِراطٍ مُستَقِيم) كانت حياته كلها يعني فيه غبَش يسقط تارة ويقوم تارة (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس كَمن مَثَلَهُ فِي الظُّلمات لَيْس بِخَارِجٍ مِنْهَا).

كيف نجد طعم هذا القرآن؟

حبيبي الغالي إذا كنت عطشان في أشد مراحل عطشك ! لو قرأت عندك كتاب يتكلم عن فوائد الماء وقلت لك أن فيه عناصر الماء الأكسجين والهيدروجين وقلت لك كل فوائد الماء من كتاب صفحة رقم ١ إلى صفحة رقم ١٠٠ هل ترتوي ؟ لا ، هل تجد طعم الماء ؟ لا، هل تشعر بشيء تغيَر ؟ لا، بل ازداد عطشك ولم تستفد شيء وتقول يا ليته سكت!، حسنًا لو أخرجت هذه القارورة وقلت لك انظر إلى الماء بعينيك انظر إليه، ألمسه، ألمس الماء، تبَصر، انظر، تفكر، كلها لا ترويك!، متى ترتوي ؟ إذا فتحت الماء ثم اسقيتك إياه , أما قبل هذه اللحظة لن ترتوي , ولأجل هذا الكثير منا يسمع عن القرآن ويسمع عن عظمة القرآن ، لكن في حياته لم يذق طعم القرآن ، تخيل حبيبي الغالي لو نحضر شخص ونخيط فمه و هو عطشان ونجعل الماء في كتفه وفي يده وساقه في رأسه كل هذه لا ترويه لأن هذا الماء ليس له مكان إلا أن يبل العروق ثم يصل إلى الجهاز الهضمي حتى ترتوي به العروق ، قبل هذا كله لن تستفيد من الماء ..

عرفت لماذا قدمت هذه المقدمة ؟

حبيبي الغالي قدمت هذه المقدمة الطويلة العريضة لأن كثيًرا نسمع عن القرآن، وكثيًرا نقرأ القرآن، لكن هل عرفنا لماذا نزل هذا القرآن ؟ وعرفنا أين العضو الذي يتلذذ بالقرآن ؟ وعرفنا إذا كان هذا العضو مفتوح أو لا ؟، لا تصف العسل وطعم العسل لمن ليس له لسان ، لا تغلف لساني ثم تمدح لي العسل!، لو تسكبه لي مالم تنزع هذه الأغلفة عن لساني لن أجد طعمه ، إذًا لن يتغير شيء، هذا الذي قاله سبحانه جل جلاله، يقول الله عز وجل عن هذا القرآن: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ)سبحان الله هو نبأ عظيم ، أين المشكلة ؟ لماذا لا أشعر بعظمته ؟، الواحد منا عندما تقول له " قرآن عظيم" يقولك أعظم كتاب في الأرض ، لا أريدها من لسانك، ولا أريدها من لساني، هل هذا فعلًا الذي تشعر به في قلبك وأنت تقرأ ؟، تشعر أن الكتاب عظيم ؟ أم فقط نقول عظيم لأنه قرآن ولأن درسنا بأنه كتاب الله وأنه أعظم كتاب ؟ هل أنت حبيبي الغالي وأنت تقرأ أو تسمع تقول: يا الله ما أعظم هذا الكتاب!، هذا الذي يقوله الله عز وجل: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) لماذا لا نشعر بعظمة القرآن ، أين المشكلة ؟ (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ ..) مالنا يا رب ؟ (أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)سبحان الله ، القرآن يقول الله عنه بأنه عظيم انتهى وضعه ، إذًا المشكلة أنتم عنه معرضون، معرضون لماذا ؟ نحن نقرأ !! لا، القضية ليست قضية إعراض لأنك لا تقرأ ، دعني حبيبي الغالي أسأل سؤال بسيط ؟ والله سؤال سألت به نفسي، قلت هذا القرآن لماذا أُنزل ؟ لما لا أشعر بطعمه ؟! نقرأ ونسمع لكن لا يوجد شيء تغيَر، لا نشعر بشيء من الداخل إلا من رحم الله ، لماذا أُنزل هذا القرآن؟ دعونا نسأل ونأخذ الإجابة من (القرآن) ، لأن هذا القرآن فيه تفصيل لكل شيء،

نسأل لماذا أنزل، يقول الله عز وجل (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) نزل هذا الكتاب مبارك ، (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّـ)اللام هذه اسمها لام التعليل ، يعني تريد تعرف السبب خذ السبب، ما هو السبب ؟ (لِّيَدَّبَّرُوا)سبحانك يا رب ، إذًا ما قال ليقرؤو لأجل ذلك نحن نقرأ كثير ، لكن هل نعرف ما معنى ليدبروا ؟، ما قال ليحفظوا ، الحفظ جميل والقراءة جميلة والتسميع جميل والسماع جميل لكن هناك شيء أجمل منهم كلهم وهو الحكمة ، لم ينزل القرآن لغيرها ابتداءً ، كل الذي بعدها تأتي تباعًا، (لِّيَدَّبَّرُوا)خذ الصاعقة، ليدبروا ماذا ؟ سورةٌ ؟ يعني كل سورة تطلع منها بفائدة ؟ لا، (لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)كل آية لها مع قلبك حكاية إذا كان القلب مفتوح ، اسأل الله أن يفتح قلوبنا لتدبر هذا القرآن ، (لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) ماذا يحصل بعدها ؟ هنا تنزل القضية , ماذا يحصل بعدها (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)سبحان الله ، إذًا إذا تدبرت القرآن بقلبي سيتغير فكري ونظرتي للأشياء ؟ نعم، ستتغير نظرتك للأشياء، ماذا سيحصل بها ؟ سيحصل الشيء الكثير، ستصبح الأخبار التي تهز غيرك لا تهزك!، لأن نظرتك وفكرك اختلف، أعطيك مثال سريع: رجل من السلف في رحلة بعد عناء وشقاء تذكر أبنائه فلذات كبده ، فقال سأشتري لهم من هذه القرية ملابس وهدايا ، فوقف يتبايع مع البائع ويجادله في السعر ثم فجأة بدون أي سابق إنذار صوت أحدهم يصرخ ، وإذا بالناس يهربون ، حتى البائع ترك القماش في يد المشتري وهرب ، فالتفت الرجل ولم يجد في السوق أحد!، فإذ بصوت من خلفه يأتي و إذ برجل يأتي معه سيف ثم ينزع السيف ثم يهزه في وجهه ويقول ما لك لا تتنحى عن الطريق والله لتتنحين عن الطريق أو لأقطعن عنقك وأفصلها عن أكتافك، الرجل لا يعلم ما القصة ؟

فنظر إذ بصوت آخر يأتي إذ به الملك يأتي جاء في حاشيته وجنوده ، قال دعه لا تقتله، فأخذ الرجل السيف فجعله في غمده، فأخذ الرجل المشتري يضحك! فالملك غضب قال ما يضحكك؟ أمر جد كان فيه قطع رقبة وأنا سامحتك، ما يضحكك؟، قال: اضحك من حاجبك هذا يريد أن يقرب أجلي ساعة و أنت أبيت تريد أن تأجل أجلي ساعة! والأمر ليس لك ولا له , قال الله جل جلاله: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ) والله لن تخرج هذه الروح (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا) يقول الأمر ليس بيدك ، نظرت لما الآية وقرت في قلبه ، غيرت من فكره ، فأصبحت الأمور تهز الناس لا تهزه!

تعال أخي الغالي نرجع (لِّيَدَّبَّرُوا)اسأل نفسك ، أنا والله أخي الغالي كنت مع نفسي صريح وأنا أحب لك ما أحب لنفسي ، سألت نفسي عند هذه الآية قلت يا ربي أنا لا أتدبر ، ما معنى (لِّيَدَّبَّرُوا) ، وبأي عضو هذه الكلمة ، رجعت إلى هذا القرآن تفصيل لكل شيء، ما دام طرحت هذه القضية إذا ستُفصل، اسأل وستجد الجواب في هذا الكتاب، والله ستجده مثل ضوء الشمس ، قال الله عز وجل (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)عمل عملية بحث كلمة تدبر (يدبروا) (تدبروا) (يتدبرون) تلك القضية كل أسألتك تجيبك حتى تعرف كيف تعيش ؟ ، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) كلام جميل (أَفَلَا)خطاب لمن ؟ هل في يوم حبيبي الغالي وقفت مع هذه الآية ؟ ما المشكلة ؟ أكمل الآية (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ) أم ماذا ؟ لا يوجد عشرين خيار بل خياران فقط ، إما أنك تشعر بطعم هذه الآيات وتهز قلبك وتغيَر فيك أو الخيار الثاني ، أم ماذا يا رب ؟(أَمْ عَلَى قُلُوبٍ)يا الله ، إذًا حدد لك أين المشكلة، وحدد لي أين المشكلة (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ) ما بها يا ربي ؟

(أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) يعني بكل صراحة تشعر بطعم القرآن ؟ نعم : هنيئا لك ، لا : والله مقفل ، (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)إذا ما كان تشعر بطعم القرآن ، سألت نفسي سؤال وقلت يا ربي ما الذي اقفلها ؟ لأسعى لفتحها ، لأن صعبة أعيش هكذا و قلبي مقفل وهذا القرآن أنزل للتدبر , يعني أعيش في الحياة بلا تدبر مصيبة ، قال الله عز وجل(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) ، سمع قول الله (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ، سمع قول الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) سمع قول الله عز وجل(وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا) ليس في بيوتكم بل (مَعَ الرَّاكِعِينَ) في المسجد ، سمع (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)، سمع (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، المهم أنه ذُكر بآيات كثيرة ، سمعها في الفجر وفي المغرب والعشاء، آيات كثيرة سمعها أو قرأها، (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عنها ونسي) سبحان الله، يعني ذكر بآيات هذه كله ثم في حياته ليس لها علاقة .. يطبق خلاف ما سمع (فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ) نسي ماذا ؟، كلام قوي(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) والله ثقيل!، نسي ماذا ؟ ما سمع؟ لا، القضية ليست قضية سماع، نسي ما حفظ ؟ لا, القضية ليست قضية حفظ، نسي ما قرأ؟ لا، القضية مختلفة تمامًا (وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) لحظاته ونظراته، كلماته وخطواته، وكل حركة في يده وهو يضرب على الكمبيوتر في مواقع إباحية، كل هذه ونسي ما قدمت يداه.

ربما يسأل أحدهم ما علاقة هذه في قلبي والقرآن والتدبر؟ ماهي العلاقة؟، لها علاقة كاملة لماذا؟، أكمل الآية حبيبي الغالي (وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)ماذا؟ (أَكِنَّة)مثل التوابيت، لماذا؟ (أَنْ يَفْقَهُوهُ)يقول أقفلت قلبه لماذا ؟ ما قال أن يحفظوه، حافظ أجزاء كثيرة، أن يقرؤوه تقرأ ختمات كثيرة، لكن ما الذي سيحرمني منه ربي؟

إذا كنت أسمع و أذكر بآيات الله وأفعالي كلها ليس لها علاقة بالذي أسمعه، ما الذي سيكون يا ربي؟ (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ) تصبح تقرأ وتقرأ عشرة أجزاء وأقول لك حبيبي الغالي أين وصلت؟، تقول لي خلصت عشرة أجزاء ما شاء الله، بالله ما شعورك ؟ يقول: ولا شيء!، لم أشعر بشيء انتهيت فقط، ختمت القرآن عدة مرات , بماذا شعرت ؟؟ هنا المشكلة (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا).

عرفنا أن هذا القرآن أين أنزل؟ في هذا القلب، وليدبر الإنسان هذا القرآن، وعرفنا أننا إذا لم نشعر بشيء فإن هذا القلب مقفل، وتعرفنا ما الذي أقفله. كيف يُفتح هذا القلب ؟، العضو الذي هو أخطر وأهم عضو عند الله، بل يُقيَم الانسان (إن الله لا ينظر إلى أشكالكم ولا إلى صوركم) ولا كم عندك في البنك، (ولا إلى أموالكم) في رواية، (ولكن ينظر إلى قلوبكم) اسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يفتح الله به هذا القرآن وأن يجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب هممنا وغمومنا وقائدنا إلى جناته جنات النعيم.

كيف يفتح الله على قلبك ؟

تعال من الآن نقرأ هذا القرآن بختمة مختلفة ، ختمة بطعم ، وهنا سأنقلك إلى سنوات مضت حين وقف هذا المسكين عند آية كان يحفظها لكن يحفظها في عقله ويقرأها من فمه ويقلب النظر في الصفحات بعينيه ، وبهذا اللسان والشفتين قرأها ، و سمعها بهذه الأذنين ، لكن ما دخلت هذا المكان وهو القلب ، الذي ما أُنزل هذا القرآن إلا ليتعامل معه ، من قال هذا الكلام ؟؟ من قال أن هذا القرآن ما أُنزل إلا لهذا القلب يقول الله : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين).

يصف لك خط سير القرآن , جبريل يتنزل بالآيات وفي الصحيح " يقول النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله أن يتكلم بالوحي يعني آية ستنزل (ص*وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ما الذي يحصل ! يقول : إذا أراد الله أن يتكلم بالوحي أخذت السموات السبع رعدة أو قال رجفة شديدة ، ترجف السماوات لأجل آية ، قال ويخر كل ملك في السماء ، ٧٠ ألف ملك يطوفون في السماء في البيت المعمور ما يرجعون له إلى يوم القيامة , وملائكة حملة عرش ما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة ٧٠٠ عام كما صح الخبر عن سيد البشر , يعني الطير يقلع من هنا بعد ٧٠٠ سنة يصل ، كم عمرك وكم عمري ؟ نموت ويأتي أجيال ويموتون ، ويأتي أجيال ويموتون ، وتأتي أجيال ولم يصل الطير من عاتقه أي كتفه إلى شحمة أذنه أنا وأنت كم مقدار هذه المسافة لدينا ٤-٥ أصابع !! ، كل هؤلاء الملائكة يخرون قال ثم يكون أول من يرفع جبريل عليه السلام ، أول من يسمع الآيات ويعيها ثم ينزل من كل سماء السادسة والخامسة جاءه ملائكة مقربوها قالوا ماذا قال ربنا قال : قال الحق وهو العلي الكبير ، لأجل هذا وصفها الله في القرآن قال (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الكَبِيْر) نزل جبريل الروح الأمين بعد ما اهتزت السموات (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى) ماذا (قَلْبِكَ) يعني النبي عليه الصلاة والسلام واقف يتلقى الوحي بلسانه وشفتيه ورجليه ويديه وأذنيه لا ، لا يذهب القرآن لأي مكان من الجزء العلوي هذه ماهي إلا أسباب تسمع تقرأ تحفظ لكن هذا هو المحك " قلبك " لأجل هذا تغيرت حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كان خلقه القرآن إذا تكلم فموزون و مضبوط كلامه بالقرآن ، إذا جلس مضبوط كلامه بالقرآن إذا تعامل مضبوط بالقرآن إذا خاصم ، جاهد ، عفى ، كلها بالقرآن لأنه دخل على قلبه.

(لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) فقط هذه الآية التي عن القرآن ؟ لا , افتح واقرأ سورة الأعراف (المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن)

ما هو المكان الذي أُصفّيه يا ربي (فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا) ما قال احفظوا و لا اسمعوا , تريد تشعر بالطعم (اتَّبِعُوا) إذًا هذا القرآن نزل لهذا القلب

فتحت القرآن فوجدت آية يقول الله عز وجل فيها (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) كلام كبير يعني تخيل واحد تبرع لك بكلية وكنت تغسل يوم بعد يوم ٨ ساعات وأهلك كلهم يعانون معك ، بعد ذلك يقول ما يكفيك أني أعطيتك كلية !!بلى والله يكفيني ، يكفيني أني أزحف على وجهي لأشكرك ، هذا وهي كلية واحدة ، الله يقول (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) ولله المثل الأعلى يعني الله يقول أولم يكفهم ماذا ؟

بالله عليك ما يكفيك أني أعطيتك ؟ ماذا يا رب ؟! ماهي النعمة التي تقول تكفيك هذه النعمة وأنت أصدق القائلين (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا) ماذا ؟ أعطيناه يدين وغيره مقطوعة يديه ما يقدر ينظف نفسه ؟ لا , أعطيناه عينين وغيره أعمى ؟ لا , أعطيناه أذنين وغيره أصم لا يسمع ؟ لا , أعطيناه لسان وغيره لا يستطيع يعبر عن الذي في قلبه إذا أراد ماء قام يؤشر وما أحد يفهم عليه ؟ لا , إذًا ماذا ؟ أولم يكفهم أنا أعطيناهم أولاد لا , قلب لا , كلى لا , رئتين لا , يا رب ما هو الذي يكفينا كلام غريب !!

والله يا جماعة وقفت مع هذه الآية عجزت أتحرك مستحيل أذهب للذي بعدها وقفت هنا (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا) ما وصف أي نعمة من الذي نعدها نحن نِعم , وصف نعمة التي أكثرنا غير حاس أنها أصلًا نعمة , ما هي (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) سبحان الله هذه نعمة !!

والله ما شعرنا بها إلا من رحم الله (أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) أكمل الآية (إِنَّ فِي ذَلِكَ) الله يعلم أن أكثرنا سيقول ماهي النعمة التي فيها ؟

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً) تشعر بها ؟ نفس السؤال سألته لنفسي قلت تشعر برحمة ؟ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى) يعني لا تمر الآيات هذه عبث , أتذكر الآيات التي ستأتي والتي ستمر والتي ذهبت (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى) لمن (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) دائمًا كنت أقرأ وأمشي هنا قلت لا الآية هذه فيها سر (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) يعني والله العظيم لو كنت مصاب بجميع الأسقام والأمراض والجذام وجربت وذقت قطع الأيادي والأقدام وجربت الفقر والسجن والعقم وموت الأولاد وكل الابتلاءات اجتمعت عليك في لحظة ثم فتح الله عليك أن تجد طعم هذا القرآن أقسم بالله بنص كلام الله أنها تكفيك تكون سعيد فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إلى أن تستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر , الأهم من هذا سألت نفسي قلت ما هو هذا الكلام (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى) لا أشعر فيها والله العظيم أني ما أشعر فيها , نفسي تشعرين بشيء قالت لا , جاءني الشيطان قال يا ابن الحلال أمورك جيدة.

امضي واذهب للذي بعدها , وتعوذت من الشيطان ونفثت على يساري ثلاث ووقفت وقلت والله لا أذهب هذه الذكرى وهذه الرحمة لمن ؟ لما لا أشعر بها فجاوبتني نفسي قالت أكمل الآية (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى) ليست لكل الناس ولا لكل أحد ولا العرب قال (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) فقال لي الشيطان يا ابن الناس قلنا لك أرح نفسك مؤمنون أنت مؤمن خلاص اذهب للذي بعدها , قلت لا , مادام ما شعرت برحمة وما شعرت بذكرى .

والآيات والصفحات جالس أقلب فيها ولا أشعر بشيء إذًا والله عندي مشكلة في (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أين أذهب ؟ تركت السورة هذه سورة العنكبوت تركتها و ذهبت للفهرس قلت أقرأ آية أو سورة عظيمة جلست أنظر أي سورة عن المؤمنين فوجدت سورة كاملة اسمها المؤمنون فتحت السورة , أول آية (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) جاء الشيطان قال أبشر مفلح والله مفلح أنت مؤمن , قلت دعني انتقل للآية التي بعدها من هم هؤلاء المؤمنين الذي يجدون رحمة وذكرى ويفهم ويشعر بطعم القرآن (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ) الصفة التي بعدها فيني أو لا (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) كل جوارحي وقفت إلا قلبي يتفكر فجلست أراجع كل صلواتي من كل الذكريات فوجدت المشكلة أن المؤمنون الذي يقصدهم رب العالمين الذين يذوقون طعم القرآن هذه صفاتهم فراجعت صلواتي ثم سألت نفسي لو جمعنا صلواتك هذه كلها كم من ركعة ما فكرت فيها إلا في الله عز وجل ؟ في دعاءك كم قلت سبحان ربي الأعلى وأنت تعرف ما تقول ؟ كم قلت ربنا ولك الحمد على ماذا ؟ على كلاك تغسل وغيرك ما يغسل ؟ فوقفت وعرفت أني أحتاج أقف طويلًا مع الآيات.

آية غيرتني

وقفنا عند بداية الانطلاقة لهذا القلب المسكين مع كتاب رب العالمين العزيز الحكيم سبحانه لما حاول الشيطان يثنيني عن قول الله عز وجل: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) راجعت الحسابات ووجدت القضية خاسرة لو أموت بهذه الطريقة , وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: يشيب عارض الرجل في الإسلام لم يكتب له في حياته إلا صلاة أو صلاتين يعني جُمع له، ركعة في رمضان وركعة في العشر الأواخر وسجدة يوم أن عنده مشكلة وكان خاشع , وبعد سنة سُجل له وقوف كان خاشع فيه وهو يسمع الآيات، كلها تجمعت وصارت صلاتين !

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: " يقوم الرجل من صلاته ولم يكتب له منها إلا ما عقل منها " الذي فهم فقط ! الذي كان مركز فيه فقط!!

فجلست أراجع نفسي؟ قلت هذه آية واحدة وقفت معها، شعرت بطعمها ؟ والله ستنزل دمعة من قلبك! ليس من عينك ترجع وتقول بدعوة صادقة يا رب اغفر لي ما مضى , يا رب جميع الصلوات التي صليتها لم تكن هذه الصفة فيني ، (خاشعون) ؟ والله ما أخشع , الله عز وجل يقول: (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) لماذا يا رب ؟ (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) سبحان الله نحن لسنا سكارى ومع ذلك لا نعلم ماذا نقول ؟ ، لما تقول: ربنا ولك الحمد، تحمده على ماذا؟ أنت واقف! و غيرك يتمنى القيام ولا يستطيع ، غيرك يعاني من أمراض وأسقام، و أنت صحيح وسليم، فلربنا الحمد أنت تقوم لله! غيرك ساجد عند بقرة ، أو راكع عند قبر! لأجل هذا تقول : ربنا ولك الحمد! ماذا ؟ حمدًا كثيرًا ، طيبًا , مباركًا فيه ، ملأ السماوات ، و ملأ الأرض، و ملأ ما بينهما و ملأ ما شئت من شيء بعد .

هل تفهم هذا حبيبي الغالي ؟ هل نستشعر هذا الكلام و نحن نردده ؟ ثم لا تجد أي تعبير إلا أنك تخر من أعلى وأشرف نقطة فيك لتضعها على الأرض بكل خشوع وتقول سبحان ربي الأعلى ..

هذه آية واحدة وقفت معها فكانت الانطلاقة , أن لا تمر معي آية الا وأقف معها، وأنت حبيبي الغالي لا تمر على آية إلا وتعلم أنها تعنيك , لأجل ذلك الله سبحانه وتعالى يقول: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا) من الذي غيرت فيه هذه الآيات؟ من الذي قرر الآن أن يتغير حسب الآيات؟ (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)هذه الصفة ليست فيني ؟ أقوم وأصلي ولا أشعر بطعم الصلاة!

تبدأ تدعو الله أن يغفر لك ما مضى و يصلح ما بقى , و تستشعر كل كلمة ترددها في الصلاة ,و لتعلم أن أي ذنب تكسبه سيوضع في رصيد أحزانك المستقبلية فوق الأرض و تحت الأرض و يوم العرض ..

(وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) فيك أم لا ؟

(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)قال الشيطان لا تتوقف عند هذه الآية لكني توقفت , والله ما أكثر ما رأينا أناس يخوضون في أعراض أناس وخضنا معهم! وكم تكلمنا في غزل مع من تكلم وكذبنا مع من كذب ؟

وكم وكم وكم ! وقفت هنا وعرفت لماذا لا يكفيني هذا القرآن؟

ولا أشعر بالذكرى والرحمة ؟ و ليه القلب مقفل فبدأت أحاسب نفسي , تجد حياتك تتغير , و تشعر بطعم الصلاة ! عندما لا تخشع في الركعة الأولى وأنت في السجود تتمنى العودة ، يا رب لم أخشع في الأولى ؟

يا رب لا تحرمني في الثانية الخشوع , حتى وبعد السلام لما تستغفر الله ستجد لاستغفارك طعم آخر ! ولما تتسن بعد الصلاة يا رب أنك ترقع لي صلاتي , والله ستجد لصلاتك طعم آخر ..

خذها قاعدة حبيبي الغالي إذا دخلت المسجد وسمعت الآيات التي تزلزل الجبال ، وخرجت وأنت جرأتك على المعصية كجرأتك قبل الدخول، فوالله أن في قلبك مشكلة وأنك في مشكلة عظيمة وأسأل الله أن لا يأخذنا على هذا الحال, لأجل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة يدعو بدعاء غريب ، تتبع السنة ولن تجد مثله ، دعاء مقدمته لوحدها تهز!

" اللهم إني عبدك ": أنا عبد لك يا رب وكلي عبد لك

" ابن عبدك ابن أمتك": أبي وأمي كلنا عبيد لك يا رب

" ماضٍ فِّي حكمك": لو حكمت لي بالمرض بالشلل سيمضي في حكمك يا رب

" عدلٌ فِّي قضاؤك": قضاؤك فيني يا رب كله عدل وأنت الستير سترتي ولم تفضحني .

" أسألك بكل اسم هو لك": بكل اسمائك! ماذا يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألك بكل أسماء الله، لابد وأنه أمر عظيم! "سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك" .

ماذا يريد رسول الله بأبي هو وأمي؟ , كل هذه المقدمة على سؤال واحد وطلب واحد " أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي" سبحان الله! أنت لما ترى الربيع في الخارج ينشرح صدرك من الداخل ، فكيف لو كان الربيع داخل قلبك ؟ , لن تجد ربيع يجعلك سعيد فوق الأرض و تحت الأرض و يوم العرض مثل هذا القرآن ..

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(الإسراء:٩)

(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) (النساء:٦٦)

اللهم اجعلنا ممن اتبع هذا القرآن واجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا ..

هل الهدهد أفضل منك ؟!

كما ذكرت كل حياتنا مذكورة في القرآن ، كنت في الطائرة بجانبي رجل ، لا أنسى هذا الموقف ما حييت ، بجانبي رجل أوروبي قبل أن تُقلع الطائرة كانوا المضيفين والمضيفات يقدمون الشاي والقهوة والعصائر ، فقبل الإقلاع الرجل جالس يمسك كتاب عدد صفحاته تقريبًا ٨٠٠ صفحة ، كتاب لا أستطيع حمله أنا ، لا أعلم كيف حمله ! ، الشاهد ليس في الكتاب !

الشاهد أن الرجل من شدة تعلقه ويرى الكتاب ويقرأ والمضيفة تعطيه العصير لا ينظر إليها , لا يفوت ولا لحظة، فتعجبت قلت سبحان الله كل هذا التركيز على ماذا ؟! في النهاية هي رواية تفاهات بشر وأفكار بشر قالها وكتبها , وهذا الرجل متحمس ! كان المصحف في جيبي ، فجلست أفكر قلت سبحان الله الواحد منّا إذا قرأ القرآن الجهاز يرُن ..يفتح الجهاز ! قابل للتشتيت ، لو يسمع شخص لم يكلمه قال يمكن يكلمني ! ، ليتنا نركز ربع هذا التركيز مثل ما ركز الرجل في تلك الرواية . فمن النفس اللّوامة جلست تعاتبني أخرجت المصحف وفتحت ، والله يا جماعة لم أكن موسّم المكان ففتحت هكذا لا شعورياً ، ففتحت قلت والله إذا هذا يركز في كلام بشر نحن أحق نركز في كلام رب البشر. (وَلَقَدْ يَسَّرنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ)لكنّك جاد ؟ أو تريد تقرأ؟ما قال هل من قارئ ! ما قال هل من تالٍ ! من حافظ ! قال (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)هل مِن أحد جاد ؟ هل من أحد فعلاً يريد أن يفهم ؟ .

ففتحت القرآن فجأة أقرأ آيات والله إني أحفظها لكن بعمري لم أذُق طعمها ، ونحن مشكلتنا هنا قلب ، ماهي الآية ؟ قول الله عز وجل (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ)تخيلت سليمان عليه السلام وهو قادم يتفقد الوحوش وحُشر لسليمان جنوده من الإنس والجن والطير ، بالله تخيل .. تخيل شخص محشورة له كل الحيوانات وكل الطيور والجن في جهة ، والإنس في جهة ، والأسود في جهة والسباع في جهة ، كلهم عنده خدم ، ثم مرّ على الطيور (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) وهو ينظر يمنة ويسرة ! (فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) كل الطيور حاضرين ماعدا الهدهد (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)كل الطيور تنتفض وترتعد مع أنها لم تَغِب ! ، بدا سليمان متضايق يهدد عليه السلام قال (لَأُعَذِّبَنَّهُ)لم يقل سأعذبه ! (لَأُعَذِّبَنَّهُ)فيها قسم أي يحلف يقول : والله لأعذبه ، الهدهد هو بالأصل صغير الحجم ! إذا يهدده ملك مثل سليمان إذاً بالله أين سيذهب ؟! (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا)ليس أيُّ عذاب (عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ)أسامحه ؟ لا (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) أهل التفسير يقولون (لَأُعَذِّبَنَّهُ) قال سأنتف ريشهُ ريشةً ريشة ثم أجعله تحت أشعة الشمس وتحت نارها وحرّها حتى تأكله هوام الأرض وهو حي (عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)وإلا يكون لديه عذر مقبول وإلا والله أقطعه أمامكم .. سبحان الله ! الوحوش الأخرى خافت ، ماذا حصل ؟ ، وأنا أقرأ كأني أراها بالصوت والصورة (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) قليلا (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ)سواد أتى من فوق يطير ثم نزل على الأرض بتلك الأقدام الصغيرة وأخذ يقفز حتى وصل عند سليمان ثم قال (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) ما هذه الجرأة ؟! لم يقل سامحني تأخرت ! لا (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ)يقول أنت متضايق تظن أني أتيتك من المزارع القريبة ! لا , أنا جئتك من سبأ من اليمن ، للتو وصلت (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)سبحان الله ! .

(إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَّمْلِكُهُمْ)متعجب الهدهد كيف امرأة تملك رجال ! ، المرأة خلقت للأمومة للعطف ، ليس مكانها تناطح الرجال عندها دورة وحمل ، الله سبحانه خلقها أعظم وظيفة تُربي النشء ، تخرجني أنا وأنت ، تُخرج ملوك لكن لا تصلح هي ملك ، هي مشاعر ليست ناقصة مشاكل ، عاطفتها تكفي أهلها ، وعندها عطاء تعطيه الأهل ، المرأة خلقت تُعطي من تحب فلماذا تخرجها تخدم من لا تحب ؟! ويهينونها ويتكلمون عليها ! . الشاهد أن الهدهد استغرب ! كيف امرأة تملك رجال ؟! ، قال (وَجَدتُّ امْرَأَةً تَّمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ) يقول لو رأيت عرشها يا سليمان (وَلَهَا عَرْش عَظِيمٌ) ، هذا كله الآن إخبار .. إخبار .. إخبار ، إلى الآن لم يخبرك بما قطّع قلبه ، بدأ الآن يجتث معاني عظيمة من أعماق قلبه ويبثها بين يديّ سليمان قال (وَجَدتُّهَا)ما الذي قطّع قلبك ؟ (وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا) ماذا يفعلون ؟ (يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ)سبحان الله ! وأنا أقرأ في الطيارة أقول : الهدهد ما علاقتك يسجدون للشمس أو للقمر أو للنجوم ؟ أي أنت ليس لك علاقة ! أنت خلقك الله تأكل تشرب تنام تموت تصبح تراب يوم القيامة ، انتهت قضيتك ، ما علاقتك في(يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ) ماذا فعل لك الله عز وجل ؟والله يا جماعة أني أقرأ وأسأل نفسي : لماذا يتضايق ؟ لماذا يتقطع قلبه ؟ لما أتى من سبأ ؟ لماذا عرّض نفسه لتهديد سليمان ؟ (وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) والله مشكلة ! هدهد يستنكر على إنسان ، ويعرف أن الشيطان يُخادعه ، (يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الجنة هنا هو ذهب بهم هناك ! .

(فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا) انظر إلى الكلام الكبير ، كلام ثقيل يقول لسليمان وكل الوحوش ، الجن تسمع والإنس تسمع (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) سبحان الله ! مُعارض يقول لماذا ؟ كيف يسجد لمخلوق خلقه الله ؟! لماذا لا يسجدون لله ؟! هذا الجبين لا يوضع إلا لله ، وهذه الدعوات لا تُبث إلا لله ، وهذه السجدات لا يستحقها أحد إلا الله ، (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ)ماذا فعل لك الله سبحانه وتعالى ؟ قال (الَّذِي)أُخبرك لماذا أنا متضايق ؟ أخبرك لماذا قلبي يحترق على دين رب العالمين ؟ (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) والله جمع السحب وجعل السحاب الثّقال تُحمل في تلك السماوات ، قال فشق الأرض شقاً ثم أخرج فيها نباتاً ثم أتيت أنا بكل راحة وأكلت ، كل هذا والله لم يفعله أحد مع الله و لا شريك ولا ند في هذه القضية إلا الله ، هو الذي أنزل الماء من السماء وأخرج لي الحب وأكلت بكل راحة ، وأعطاني جهاز هضمي ، و بلّ عروقي وأشبع جسمي وأنبت ريشي ، كيف أرضى أن أحد في أرض الله يسجد لغير الله وأنا أرى وأصمت ؟! ، الله أكبر ! ما الذي أعطاه الله ؟ حبتين قمح ، لأجل حبتين قمح لم يرضى أن يرى أن يُعصى الله أمامه ويسكت ! ، إذاً نحن ماذا نقول ؟! والأكل داخل وخارج ، والشرب في السيارة وفي الطيارة ، إذاً ماذا سنفعل ؟! متى سيبين و سيظهر في أعيننا شيء ؟! ، حبتين قمح وعش تذروه الرياح ، إذا تعب على العش جاءت الرياح وهدمته ! ، وبيوتنا ؟ من أعطاك بيتك ؟ أنت أم الله ؟ الله ، لولا الله والله لا تجد لك غرفة تسكن فيها والله ، ماذا بقي؟ وأثاث ومكيفات وأنوار وكهرباء ، هذه كلها لم تَظهر في عينك أنك إذا رأيت الله يُعصى يضيق صدرك وتحاول تُغير!

سبحان الله ! حبتين قمح حرّكت قلب الهدهد ، ماذا قال له سليمان ؟

لم يقل "بيّض الله وجهك " ما دمت خدمت الدين الله يوفقك ويسعدك ! لا (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) سأنظر إذا كنت صادق أم كاذب ، والله لو تذهب الآن تبلغ بلاغ في الهيئة أو تحاول تنكر منكر ثم يقول لك أحد سننظر أنت صادق أم كاذب ، كان تقول لن أتكلم لدينكم ، لأنك لا تعمل لله ، لأننا لا نعمل لله ، نعمل لأنفسنا فنرضى بالكلمة ونضيق ، لو أننا نعمل لله كان لا يضرنا إذا قيل لنا كاذب أو صادق ، ما دام أني أخدم الدين فأنا سأُثبت أني صادق .

الدعاء مخ العبادة

ما الذي يجعل أكثرنا يفشل بالدعاء ؟!!

•إما أنه يدعو قليلًا ثم ينتظر ثم بعدها ييأس .

•أو أنه لا يدعو بالأساس .

في هذا الكتاب العظيم ونحن في حلقات من نور القرآن سنعرف ما معنى الدعاء ومتى يستجيب الله الدعاء ، عندك دعوة استجيبت ؟! دعواتك ما استجيبت ؟! تريد أن تستجاب دعواتك كل هذا التفصيل تجده في القرآن ، أفتح القرآن (وكُلَّ شَيءٍ فصَّلنه تَفْصيلا)كل شيء في هذا الكتاب (كِتابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)الله سبحانه فصل لنا القضية ، قبل أن أدعو أفتح المصحف لكي أعلم ماذا سيكون لدعوتي هذه إذا رُفِعت ، دعوت وأنا ساجد ، دعوت وأنا واقف ، دعوت و أنا في ثلث الليل الآخر ، ماذا يعني استجابة دعاء . الله سبحانه وتعالى وعدنا ، يقول الله عز وجل في هذا القرآن ونحن نسير في نور هذا القرآن

قال الله عز وجل (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) إذاً الله وعدنا هنا أنه يستجيب إذًا انتبه تقول دعوت ولم يستجب لي ، إذاً أي دعوة تُدعا لابد نعلم أين تذهب من خلال هذا القرآن ، إذاً الدعوات التي دعوتها مثال : أدعو أن أنجح ولم أنجح , أدعو بالوظيفة ولم أتوظف أين ذهب هذا الدعاء؟! يقول النبي عليه الصلاة والسلام (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تُعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها , قالوا إذن نكثر قال الله أكثر) مثال : إذا دعيت وكان مكتوب لابنك اليوم غرق ينزل القضاء من السماء فيصعد عليه الدعاء فيعتلجان في السماء إلى يوم القيامة ، يعني دعا ودعا وكان القضاء سينزل من البلية والمصيبة ثم أزالها الله رفعها بهذا الدعاء (وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها) يصرف عنه السوء بقدر ما دعا ، إذا دعا دعوة قوية صرف الله عنه مصيبة عظيمة و إذا دعا دعوة بسيطة صرف الله عنه مصيبة بسيطة (وإما أن يدخرها له يوم القيامة) يقف بين يدي رب العالمين فتوزن السيئات والحسنات فترجح السيئات و فجأة إذ بموازين الحسنات تثقل ثم ترجح بالسيئات فيقول يا رب أنا جُزيت على أعمالي وكل حسناتي حُسِبت من أين أتت هذه الحسنات ، فما الذي رجح هذه قال :هذه دعوات لم تستجب لك فيقول يا رب ليت لم يُستجب لي ولا دعوة , قالوا الصحابة للرسول (إذن نُكثِر)أكثِر الدعاء وأنا ساجد وأنا قائم وأنا جالس ؟! فقال النبي عليه الصلاة والسلام (الله أكثر) يعطيك أكثر مما تدعو ،عند الله خزائن السماوات والأرض الحمد لله أن الله عز وجل ما قال اختر أنت أين تريدها في الأماكن الثلاث لو خيرنا الله بالخَيارات الثلاث لكنا جميعاً إلا من رحم ربي نختار الخَيار الأول .

قال سبحانه (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا) الحمد لله ما قال اختر أين تريدها لأتينا يوم القيامة مفاليس ،كان أمور من الشر حصلت لنا والله لا نتحملها ، ما دامك لا تعلم الأمر ثق بالله لأن الله عز وجل يقول (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)إذن استجاب الله سبحانه , لكن استجاب إما إعطاء مسألة ، إما صرف شر ، إما جعلها لك ليوم القيامة ،إذا كان الله لا يحبك كلها في الدنيا قال عز وجل (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ)لابد أن نعلم الدعوة الذي خرجت أين تذهب من خلال هذا القرآن حتى نعلم أن الله عز وجل هو الحكيم العليم ، فنقول يا رب ضع دعواتنا حيث عَلِمت ما فيه خير لنا سبحانك إنك أنت العليم الحكيم .

ما الذي يجعل الدعوة تأتي بأحسن ما تكون ؟

ليس كل دعوة تُعطى إياها هي خير لك ، إبليس دعا أن يُنظر فأنظره الله ، ثم هل هو خير له ؟ استجاب الله دعاءه نعم ، إبليس أكثر من عُمِّر لكن هل هو خير له ؟!

إذًا ليس كل دعوة يُعطيك الله إياها هي خير لك ، فرعون يدعو يُعطى ، أُمهِل فرعون لكن هل هي خير له؟

كيف أنا أستفيد و يكون كل دعائي الذي أدعوه يُعطيني الله اياه على أعظم ما أتمنى ؟ يعني دعوت دعوة اليوم فالله سبحانه وتعالى يعلم الخير فيها أنها تؤخر إذًا يؤخرها ، ما يُعجّل لي شيء أندم عليه ، الله سبحانه يعلم أنه أفضل أن توضع دعوتك في شر قد يأتيني غدًا فيصرفه ، فيضعها سبحانه ، متى يتولاني الله بهذه الطريقة ؟

كم رصيدك ؟ كم عندك ؟ قد يقول شخص و ما علاقة رصيدي ؟ أنت الآن خذ بطاقة الصراف الخاصة بك و فيها رصيد ألف ودخّل وأطلب خمسة ألاف , تعطيك !؟ لا تعطيك , ما علاقة هذا الموضوع ؟ قال الله عز وجل (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ) دعونا نتّبع (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)تعالوا نسأل هل قضية الرصيد لها علاقة بقضية استجابة دعائي ؟ لا تنسى استجابة الدعاء ، ليست قضية إعطاء مسألة , إذًا هل الرصيد له علاقة في استجابة دعائي ؟ نعم , لِأجل هذا ذكر الله عز وجل في سورة الأنبياء قصص قصة تلو الأخرى ، لن نتكلم عنها كلها ولن نحيط بهذا القرآن العظيم (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي) يعني استنباطات من هذه القصص (لَنَفِدَ الْبَحْرُ) ينتهي البحر (قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) هذه المعاني العظيمة (وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)

الله عز وجل يحكي عن قصة ثلاث أشخاص ، ثلاث رجال عندهم مشاكل مستحيل أن تكون عندنا ، لو جمعنا مشاكل حياتنا كلها لن تأتي مثل مشكلة واحدة وقعت عليهم .

أيوب عليه السلام كان في غنى وفي فرح , أولاده عنده والمزارع والبساتين والزوجة , كل شيء أعطاه الله سبحانه وتعالى , فجأة ! بدأ يموت الأول انتهى العزاء ، مات الثاني ! طبعًا الكلام هذا سهل لكن جربت فقد الولد ؟ الآن تذكّر لي أي واحد من أولادك أتاك اتصال الآن مات ! هل عرفت ماذا أقصد لّما أقول ينتهي العزاء ، يموت الثاني ، تقطّع قلب أيوب عليه السلام , وينتهي العزاء ويموت الثالث ، وينتهي العزاء ويموت الرابع ، والخامس والسادس والسابع ثمّ خلا البيت ، لم يتبقى إلا هو و زوجته ، كيف ستكون نفسيته ؟

والله لو أعطيته كنوز الدنيا لا تعوضه تلك اللحظة ، لا تعوضه عن واحد من أولاده , ثمّ بدأ البلاء فيه نفسه هو ، ثمّ أصابه مرض فـأُقعِد , أصبح مُقعد حتى الحركة لا يستطيع يتحرك , هل جربت ؟ جربت أن تصاب في ظهرك في إحدى الفقرات ثم يُقال لك ثمانية وأربعين ساعة لا تتحرك ؟ حتى قضاء الحاجة لا تستطيع , ثم أصابه البلاء في جسمه بدأ يتساقط الجلد ، ثم جاء الفقر ، خسارة نفسية واجتماعية وأسرية وصحية , ثم جاءه الفقر فـذهبت زوجته تعمل عند الناس ، لم يعد عندهم أكل , فـدعا ربه ، يصف لنا الله سبحانه وتعالى هذا المشهد حتى نعلم من هو الله سبحانه وتعالى ، قال الله جلّ في علاه (وَأَيُّوبَ) ما به يا رب ؟ الكلام أحبتي لي ولكم ليست القصة هذه تخاطب أيوب عليه السلام (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ *مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) مسّني الضر أولادي كلهم دفنتهم ، صحتي ذهبت ولم أعد قادر على أن أمشي ، جسمي يتساقط أمامي (مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) أنا حالي تعرفه سبحانك وأنت أرحم الراحمين . تتفاجأ أنه ليست أول كلمة بعدها ، أول حرف بعدها ' ف ' , القرآن لذيذ حتى الحرف له طعم ، ' ف' معناها فاء الفورية ، يعني أول ما ارتفعت هذه الدعوات نزلت الإجابة (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) سبحانك يا رب ! بسرعة ! بهذه الطريقة !؟ (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا) سبحانك ، فاء الفورية ، فاء وراء فاء , (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ) كلها ؟ في لحظة يا رب ؟ لا مراجعات ولا تعال نجرب معك الدواء النفسي و مضاد ومثبّط للأرق وللألم . سبحانك يا رب !

(فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُّرٍّ*وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) عوّضه الله رجّع له أهله (وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) ضِعف ، ملأ له البيت ، امتلأ مرة أخرى بعد أن خلا - سبحانك يا رب ! (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ) سبحانك! هذه العطايا من أين يا رب ؟! (رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا) رحمة واحدة فعلت كل هذا يا رب ؟

إي وربي ، اللهم ارحمنا برحمتك يا رب .

(رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا و ذِكْرَى) ضع تحت هذه الكلمة -ذكرى- مليون خط ، وذكرى لمن يا رب ؟ من الذي تريده يستفيد من هذه الآيات ؟ (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) سبحانك! ما قال وذكرى لِـ الدّاعين لماذا ؟

لأنه سيقول لك أن هذا الرجل رصيده مليء ، فلما أراد أن يسحب رصيد مليء ، من الذي يقول أن هذا الرصيد مليء ؟ (إِنَّا وَجَدْنَاهُ) وجدناه! سبحانك كيف وجدت أيوب يا رب ؟ أنت مطّلِع على سره ونجواه في خفاياه كلها , تقييمك لحياة أيوب كلها ماذا وجدته ؟ كيف ؟

تقدير كم ؟ (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) سبحان الله ! لم يجزع وقال يا أخي كل الحياة من يوم عشنا ما رأينا خير , (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا *نِّعْمَ الْعَبْدُ) تخيّل يقول لك ملك من ملوك الدنيا فلان والله ونِعم ! فكيف والذي يقولها الله سبحانه (نِّعْمَ الْعَبْدُ) لماذا يا رب نِعم ؟ ما الذي في رصيده حتى يكون ونِعم ؟ (نِّعْمَ الْعَبْدُ*إِنَّهُ) هذه صفقة للمتدبرين ، الله يجعلنا وإياكم منهم ، صفقة لا تضيع على المتدبِّر (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا*نِّعْمَ الْعَبْدُ) أريد أكون مثله يا رب ، أريد أن أكون ونِعم عندك ماذا أفعل ؟

(إِنَّهُ أَوَّابٌ) أتحداك يذنب ذنب ثم يجلس و يضحك وكأنه لم يذنب , لا والله يُقطّع قلبه الذنب (نِّعْمَ الْعَبْدُ*إِنَّهُ أَوَّابٌ) فحبيبي هل إذا أخطأت و أذنبت تستغفر وتصلي ركعتين وتقول يا الله يا رب سامحني ، ربي إلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، أم أن الذنب عندك أمر طبيعي ؟ إذا كنت من الأوابين فأبشر رصيدك مليان تكون نِعم العبد , حسنًا ماذا يعني صابرًا ؟ جاءته زوجته بعد ثمانية عشر سنة من الألم والتعب وفقد كل ما يُحب ، قالت له : ألا تدعوا الله ؟! , فقال: كم عِشنا في الرخاء ؟ قالت : ستين سنة , قال : وكم لنا في البلاء ؟ , قالت : ثمانية عشرة سنة , قال: والله إني لأستحي هل عندك رصيد هذا ؟

إذا كان هذا الرصيد فأبشر إن دعوت ، فاء الفورية (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) .

دعوات استجيبت فورًا فماذا عن دعواتك ؟!

ذكرنا كم رصيدك حتى تعلم كم سيستجاب لك من الدعوات , وذكرنا أيوب عليه السلام كيف أن الله سبحانه وتعالى قلب ذاك الحزن إلى فرح وذاك الهم إلى تفريج , وتلك الكربة إلى تنفيس , و رأى النور بعد أن كان في ظلام الابتلاءات , ثم قلنا أن الله عز وجل قال (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُّرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) لماذا العابدين ؟ قلنا العبادة يدخل في الرصيد صابر , أواب يتوب والله يحب التوابين.

ما الدليل أن على قدر رصيدك ؟! أكمل الآية التي بعدها(وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)أكثر من العبادة تستحب دعواتك بإذن الله سبحانه وتعالى , ما الآية التي بعدها (وَإِسْمَاعِيل)ذكر الله ثلاثة أشخاص أرصدتهم ممتلئة , من هم ؟!

(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ) مالهم هؤلاء(كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ)سبحان الله رصيد مليء صبر ، وأعظم رصيد هو رصيد الصبر (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أكمل (وَأَدْخَلْنَاهُمْ)ولله المثل الأعلى على قدر رصيدك يصل حد معين ثم يدخلون البنك في نطاق المتميزين فئة التميز فكيف ولله المثل الأعلى يقول الله عز وجل هؤلاء عندهم رصيد عظيم كبير فأدخلناهم أين يا رب ؟ (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) سبحانك يا رب ، إذا كان أيوب عليه السلام في الآية التي قبلها أصبح عنده تفريج كربات كلها بسبب رحمة واحدة(رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا)فكيف هؤلاء الذين دخلوا في رحمتك التي وسعت كل شيء ، أكمل الآية تذوق طعم القرآن (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ)ماذا يا ربنا(إِنَّهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ) الرصيد يفرق ؟ نعم , على قدر ما عندك على قدر ما تأخذ ، الآية التي بعدها أقرأ معي (وَذَا النُّون) ذكر الله في الثلاثة قصص ذكر جميع أنواع المشاكل ، أصول المشاكل ذكرها لك ، أصول الأمور التي تنكد على الناس أمور حياتهم (وَذَا النُّون إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ) ظن أن لن يضيق الله عليه ، قل لكل سجين اقرأ هذه الآيات السجن وإن كنت في زنزانة انفرادية وإن كنت في بلاء عظيم على الأقل عندك هواء يدخل لك ، عندك أكل يطعمونك و يسقونك ، لكن هذا السجن أسوأ سجن على الأرض مسجون في بطن حوت , تخيل أنت الأن وأنت تدخل محل أسماك تجد الكل قد غطى أنفه وفمه لماذا ؟! لأنه متأذي من هذا الرائحة , هذه الرائحة خرجت عليك من داخل البطن وهذا أثرها في الخارج , فما ظنك بالرائحة داخل البطن , هناك كان ذا النون عليه السلام يونس فتخيل الحالة التي هو فيها ليست قضبان حديدية وإنما أضلاع حوت ثم جرى به في ذاك البطن فكل السوائل والحوت يطلع ويتقلب في تلك الظلمات الثلاثة .

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنت سُبْحَانَك) لا أحد يسمعني ولا هواتف ولا أحد يعلم أي حوت في البحر , ظلمة بطن الحوت ظلمة البحر ظلمة الليل (أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) يعلم أن البلاء الذي يصيبك على قدر رصيدك من السيئات يصيبك من البلاء (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)فقال (إِلَهَ إِلَّا أَنت سُبْحَانَك) ما قال يا رب ابتليتنا َو نحن لم نفعل شيء ، وأنا نبي وأطيعك ، بالمقابل تجد ناس مقصرين مثلي ومثلك حبيبي الغالي وأختي الغالية و يؤخر الصلاة ، ويكذب وغيبة ونميمة وإذا أصيب قال يا رب أنا لم أفعل شيء و ما هذه الحياة ، هذا نبي يعني من أشرف الناس وأعظمهم استطاع أن يقول أما أنت يا ربي فسبحانك ، والله ما ظلمتني لا إله إلا أنت فسبحانك ، أما الظلم فو الله أنا أهل للظلم هي معصية واحدة فقط ذهب وهو غاضب قبل ما يأذن الله.

الآية التي بعدها جآءت (ف) الفورية فعندما أقول لك ما أقول عمر فـ فهد يعني وراء بعض ، أما إذا قلت عمر ثم فهد يعني بعد فترة ، جآءت فاء الفورية هنا يقول الله عز وجل (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) ليست فِرق إنقاذ تغطس وتبحث عنك ، لا .. أو تصيد الحوت ، الأمر أهون على الله وهو يأمر الحوت ويأمر البحر ويأمر كل شيء عنده بمقدار سبحانه عنده الأمر كله (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ).. قال الله فاستجبنا له فانتهت القضية (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) هنا عليك أن تغار ، يجب أن تغار وأنت تقرأ القرآن و تقول يا رب أنا غرت كيف دعوات دعيتها كثير ما جاءت بسرعة ، يا رب هذه الدعوات التي دعا بها أيوب وذا النون يا رب استجيبت بسرعة ما السر؟ .

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاه)سبحان الله نجيته من ماذا يا رب ؟(وَنَجَّيْنَاه مِنَ الْغَمِّ) والله غم والله لو تسجن يوم في دورة المياه اغتميت ، كيف تسجن أربعين في بطن حوت أنواع الروائح وأنواع السوائل ولا يستقر(وَنَجَّيْنَاه مِنَ الْغَمِّ) لا تفتك آخر الآيات فيها رسائل لي ولك حبيبي الغالي ، فيها رسائل للمتدبرين الله يجعلني و إياك منهم (وَنَجَّيْنَاه مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِيَن)إذا طال همك وغمك وما استجيبت دعوتك ولا نجيت من الغم فإن هناك مشكلة في الايمان .

ما هو رصيد يونس عليه السلام ؟! وماذا لو لم يكن عنده رصيد ؟! هذا القرآن يجيبك لو لم يكن عنده رصيد قال الله عز وجل (فَلَوْلَا أَنَّه كَانَ ُ مِنَ الْمُسَبِّحِيَن) إذًا رصيده مليء ، رصيد عالي جدًا من التسبيح والتنزيه ، نزهه الله سبحانه وتعالى فلا يقول ما يغضب الله ، و لا يفعل ما يغضب الله ، فكانت حياته تاريخه كله مليء ، بشهادة من ؟ بشهادة رب العالمين الله عز وجل يقول (كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِيَن) يا ربي لو لم يكن من المسبحين ؟، لو كان رصيده كله يقول ما يريد ويفعل ما يريد ، ويسمع ما يريد ، ويذهب للذي يريد ،ماذا سيحصل يا رب ؟ (فَلَوْلَا أَنَّه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِيَن لَلَبِثَ) أين ؟ (فِي بَطْنِه) بطن الحوت إلى متى يا رب ؟ (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لكان إلى الآن لم يخرج كان نقول أين يونس عليه السلام ؟! في أي بحر ؟! في أي بطن ؟! في أي حوت ؟! ، إلى يوم يبعثون يخرج من بطن الحوت يعيش في هذا الغم والهم طول هذه الفترة ، أرأيت كيف يفعل الرصيد ؟! فإذا كان عندك هَم راجع رصيدك ، قد تتوب توبة صادقة تمحو كل الرصيد فيقلب كل المعاصي حسنات يكون رصيدك مليء فيزال عنك الغم (وَنَجَّيْنَاه مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِيَن) الله يجعلني وإياكم من المسبحين ومن المؤمنين أسأل الله يفرج هم المهمومين من المسلمين وينفس كرب المكروبين وأن يجعلنا وإياكم من الصالحين.

كـم رصيـدك ؟!.

تكلمنا عن أصحاب الأرصدة العالية ، أيوب عليه السلام ، ويونس عليه السلام ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أزال همومهم وغمومهم النفسية والاجتماعية والصحية ، وكل هذه من أجل رصيد كان عندهم مع الله سبحانه وتعالى ، ما هي الآية التي تليها يا ترى ؟

قصة عظيمة تخاطب شريحة كبيرة من الناس ؛ من حُرِموا نعمة الولد ، من تزوج ومرت السنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، ثم لم يرزق بأولاد ، فتألموا إذا رأوا أبًا يشتري لابنه لعبة ، أو أمًا تحمل معها رضيعًا لها، فتتأثر تلك النفوس ، فيأتي هذا العلاج ، في هذا النور العظيم ؛ نور القرآن ليحل هذه المشكلة، ويقول لنا أسوء وأصعب حالة عقم على الأرض ، يعني لو قدمت تقرير هذه الحالة على مستشفيات العالم كلها والله لا تجد لها حل عند مركز من مراكز على وجه الأرض ، وعلى هذه البسيطة إلى أن تقوم الساعة، التقرير كما يلي: الأب عمره مائة سنة عقيم، التحاليل المخبرية تقول أنه عقيم؟ لا يقول الله جل جلاله خالق العقم، يقول: أنه عقيم، والزوجة عمرها تسعين سنة وعاقر، يعني لو كان عمرها عشرين سنة وهي عاقر بنفس الحالة الصحية لما رزقت بالأولاد إلى أن تموت، فكيف تجتمع هذه؟ زوج عقيم، وزوجة عاقر، والعمر قد تجاوزت سن اليأس، يقول الله عز وجل الذي لا يعجزه شيئ في الأرض ولا في السماء (وَزَكَرِيَّا) ، بعد أن ذكر أصحاب الأرصدة العظيمة، قال أيضا زكريا (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ)، لاحظ ولا واحد فيهم انطرح عند قبر أو ألتجأ لساحر ضعيف خبيث ؛ لا .... الكل وجهتهُم واحدة، للواحد الديّان ، (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا).

الآن بعد مئة سنة!، كان سألت وعمرك أربعون، ثلاثون، وعمرها عشرون، ثلاثون أو أربعون!، (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) بهذا الحال!، بهذا التقرير الطبي!، إي والله، يعرفون من يسألون ، (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) متوقع الآن بأن القضية الآن "الآن تسأل!" لا، قال الله مفاجئة أخرى، فـ "فاء الفورية"، حرف عجيب!، مع أصحاب الأرصدة العالية، (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) سبحانك يا ربَ، ما فيه تعال نعمل لك تحليلات ، وخزع ، ونحاول في أطفال أنابيب ، لا .. هذه عند البشر، أما عند رب العالمين فالأمر أعظم وأيسر من هذا ، قال سبحانه (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى) بدون مقدمات، ولا مراجعات؟ ، (وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) عقم وعاقر وامرأتي عاقرا، انتهت القضية، نحلَ لك القضية الآن (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)، يبقى السؤال هنا: لماذا ؟؟، ما السر ؟؟، كمل الآية تأتيك الأسرار على طبق من ذهب ، فهل من مدكر؟، ماهي الآية ؟ (إِنَّهُمْ كَانُوا) ماذا بهم ؟ ماذا يملكون! كم هي أرصدتهم؟، وماهي أرصدتهم؟ (إِنَّهُمْ كَانُوا) لاحظ جميعهم كانوا , يعني قبل الدعاء الرجل ممتلئ، مواقفه تشهد له، المجالس التي يحضرها تشهد له. إما بدعوة او أمر بمعروف، نهي عن منكر، تذكير بالله عز وجل، قدوة صالحة، الرجل والمرأة يعملون (أنهم كانوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) ما قال يفعلون الخيرات ! يعني سينصح لا يقول اصبر غدًا أقابله وانصحه ، لا بل الآن أسُارع في الخيرات، لا يقول ما أقامت الصلاة ، لا! بل الآن أخرُج إذا أذن , أتصدق اليوم قبل الغد , فيسارع في الخيرات (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا) ماذا؟ في حال الشدة فقط يدعو في حال الرخاء ناسي! لا (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا) في حال الرخاء يا رب دائمًا يا رب ، (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) في حال الشدة وإذا خاف من شيء لا يذهب لعباد ضعفاء نفسه لا، دائما (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) ماذا بعد ؟

(وَكَانُوا) يا رب اجعلنا منهم (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) سبحانك يا رب يسارعون في الخيرات، تأخرت دعوتك ؟ هو سارع في الخيرات فسارعت له الإجابات ، إذا كانت فتتأخر عليك الدعوات راجع مسارعتك في الخيرات! متى تذهب المسجد ؟ كلنا يا جماعة مقصرين ، لكن تريد إذا دعوت تأتيك سريعة ! تعال الآن فسارع (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) كم تجلس في سجودك وأنت تدعو ؟ بعض الناس إذا صلى السنة ورفع يديه ، ولا بين الاذان والإقامة يرفع يده كأنه سائل واحد فقير يعني ما يملك شيء يسأله أي سؤال عابر ويمشي! لكن تعال انظر إليه إذا جاء يشتكي لبشر! يجلس يبث ، طيب مشاكلك في حياة كلها؟ رغباتك أمنياتك، في أولادك، في نفسك، في أهلك، في مالك، لأجل هذا قال الله: (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) طيب واحد يسأل الأن وهو قاعد يقرأ الآيات في سورة الأنبياء و يقول هذا الكلام كله رجل، رجل، رجل! .. لا يوجد امرأة ؟ قال الله سبحانه وتعالى: ذكر لك امرأة يحبها الله سبحانه وتعالى ثم ذكر صفة من أعظم صفاتها ، أعطاك الرصيد الأعظم لها، ما هو الرصيد؟ ما ذكر اسمها ، هنا لا يحتاج قضية ذكر أسماء ، ذكر أرصدة الآن قال (وَالَّتِي) من هي يا رب ؟ وماذا فعلت؟ (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) ذكر أعظم قضية في الأرصدة (أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) أعظم ما تملكه المرأة بعد التوحيد ؛ الحياء (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا و وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) جميعهم ناس مشهورين معروفين انبياء وصالحين و أُم رسول!، قال: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ) هذا الخطاب لكم كلكم، للناس، لأمثالي (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ) فماذا ؟ فـ ادعون ؟ لا! ليست القضية فقط دعاء (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) أدخل رصيد، كم عندك من الرصيد؟ قل لي كم عندك من الرصيد أقول لك كم ستطول غمومك ومتى سينجيك الله!، قل لي كم تسارع في الخيرات أقول لك كم ستسارع لك إجابة الدعوات.

ألا تلاحظ أخي الغالي وأختي الغالية أن كل واحد منهم ممن ذكروا أصحاب الأرصدة العالية يقول أمر يخصه و أمر لله عز وجل!، أيوب عليه السلام يقول (رَبِّي أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّر) هذا يخصني ضعف و تعب و مرض , أما أنت (وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)يونس عليه السلام (لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ) أنت , أما أنا (إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ، كلهم دائما ينسبون لهم الضعف ولهم المسكنة و الفقر، و لله الغنى و التنزيه، وزكريا ؟ (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا أنا مسكين و أنت (وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) ، فهل نستطيع نبث دعوانا بهذه الطريقة ؟ بكل أدب مع الله سبحانه وتعالى، هو أرحم الراحمين سبحانه، إنا كنا من الظالمين هو خير الوارثين.

اسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يسارع في الخيرات ويدعون ربهم سبحانه وتعالى رغبًا ورهبًا وهم له خاشعون، إذا ما استجابت الدعوات فراجع هذه الأمور الثلاثة، وإذا بدأنا من الآن يقلَب الله سبحانه وتعالى الماضي لنا خيًرا فتصلح لنا أمورنا الماضية والحاضرة، اللهم أصلح لنا شأننا كله واجعلنا مما يسارعون في الخيرات ويدعون لك رغبًا ورهبًا وهم لك خاشعون.

الدعاء

أصحاب الأرصدة العالية رأينا كيف أن الله نفّس همومهم وكروبهم بما لهم من أرصدة في ميزانهم قبل أن يدعو الله عز وجل ، وقلنا أنه على قدر رصيدك على قدر ما تكون استجابة الدعوة لك ، واستجابة الدعوة لا تعني إعطاء المسألة ، ثلاثة أمور لا ننساها ، دليل آخر على هذا الكلام قول النبي صلى الله عليه وسلم واصفاً ذاك الرجل الذي إن تفكرت في كلام النبي عليه الصلاة السلام أشفقت عليه ورحمته وعلمت قدر فاقته وحاجته , يقول النبي عليه الصلاة السلام "أشعثَ أغبرَ يمدُّ يدَيه إلى السماءِ " .

كل كلمة فيها مجلدات لأن هذا كلام خرج من خير خلق الله الذي زكى الله لسانه لا ينطق عن الهوى ، قال أشعث لماذا أشعث؟ كل كلمة لها دلالة ومعنى "أشعثَ أغبرَ يمدُّ يدَيه إلى السماءِ يا ربِّ ! يا ربِّ ! " لكن عنده مشكلة مع ربي سبحانه ، ماهي المشكلة ؟ رصيده دمار والعياذ بالله ، ما سمحت له فرصة في معصية إلا عصى الله ولا قدر على درهم حرام إلا أخذه ، ولا نظرة حرام إلا نظرها ،و إن وجد ناس يغتابون يخوض معهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم "ومطعمُه حرامٌ " رصيده كله عندما نظر الله إليه حرام ، "ومشربُه حرامٌ ، وملبَسُه حرامٌ ، وغُذِيَ بالحرام "حتى طعامه الذي يأكله بمال حرام و رشاوى والعياذ بالله ، ماهي آخر كلمة بالحديث ؟ "فأَنَّى يُستجابُ لذلك؟" إذا رصيده حرمه من إجابة الدعوات مع أنه أشعث ، لماذا أشعث؟ لأنك أنت عندما تراه ترحمه ، فكيف بربي أرحم الراحمين! ومع ذلك لم يستجب له، أغبر ترحمه والله أرحم منك ومع ذلك لم تستجب له هذه الدعوات، يطيل السفر ، أي المسافر أصلًا تارك أهله ومتعب و غير ذلك من الثلاثة التي لا ترد دعوتهم المسافر يدعو الله يستجيب له لأنه مكسور قلبه ، أما هذا مع اجتماع كل أسباب إجابة الدعاء إلا أن الله لم يستجيب له ، قال يطيل السفر ويدعو الله ، لم ينطرح عند قبر، يقول يا رب يا رب ، مع هذا لم يستجاب له لأن الرصيد حرمه من إجابة الله لدعوته ، فأنت حبيبي الغالي إذا قدرت على فعل الحرام هل تفعله ؟ هل تسارع وليس لديك أي مشكلة ؟ ولا تتوب بعدها ! كلنا غرقى بالذنوب ، لكن هل هذا الأمر يعنيك يؤثر فيك يحرق قلبك ، تذهب تتوضأ بعد المعصية وتصلي ركعتين تطيل فيها السجود (لَئِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ، (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) أو الأمر عادي !

مالك من أين مصدره؟ تعمل في بنوك محرمة ربويّة ! إذاً لا تقول لم يستجيب الله لي ، لبسك أختي الغالية "وملبسه حرام" لبسك وتبرجك إذا خرجت في الشارع كلٌ ينظر لك وتفتنين هذا وهذا !

فإذاً هذه القضايا أحبتي الفضلاء تؤثر علينا من ناحية الرصيد .

من أنواع الدعاء قضية عظيمة كل من جربها يأتيني يقول لي أين نحن عن هذا الدعاء منذ زمن ، أي دعاء ؟ هذا الدعاء له ميزة عظيمة هو الحديث الوحيد الذي ذكره راوي الحديث جابر بن عبدالله بهذه الطريقة ، قال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا " ماذا ؟ الأحاديث الأخرى! لا " كما يعلمنا سورة من القرآن " يعني ما هذا الحديث والدعاء الذي ارتفع بمقداره من ناحية أهميته أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلمهم السورة من القرآن و يكررها عليهم ويعلمهم إياها حتى يفهمونها ويطبقونها ثم يعلمهم هذا الدعاء من بين الأدعية التي في السنة النبوية كلها بهذه الطريقة ، وكان يقول إذا هَمّ أحدكم بالأمر ، أي إذا كان لديك وظيفتين (أ) و (ب) وأنا مقدم عليها كلها ، سألت فلان قال لي وظيفة (أ) ممتازة لا تفوتك ومستقبلها و لها من المميزات و و ... بعد يوم جاء واحد وقال لا انتبه ابن عمي دخل هذه الوظيفة و توّرط بها ولا فيها علاوات...إلى آخره. ، أنصحك بالوظيفة (ب) ، الرجل الآن محتار وفلان يقوله اذهب يمين والآخر يسار ، هذه الحيرة الله سبحانه أعطانا لها دليل في القرآن ، قال الله عز وجل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) خذ الاستخارة كم مرة تدعو بها ؟ (وَإِن تُطِيعُوهُ) أي الرسول صلى الله عليه وسلم (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) هذا هو علمنا الاستخارة عليه الصلاة والسلام ، ربما أحدهم يقول لي يمين وأخاف اذهب يمين يفوتني وظيفة (ب) و و ... ، الله سبحانه وتعالى جعلك تطمئن .

قال جابر بن عبد الله " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة" الآن تذهب لعمل دراسة جدوى في مركز من المراكز الاستشارية تدفع ١٠٠ و ٢٠٠ ألف حتى يدرسون المشروع و يقولون لك افتح أو لا تفتح ، وممكن أيضاً يقولك لك افتح وتخسر ، وممكن يقول لك لا تفتح وتخسر ، لأنهم يبقون بشر ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يوجهك " ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك " يا رب إني محتار أين أذهب ، وكل من سألت يقول لي رأي مختلف ، يعلمون من الآن و ما سبق ، لا يعلمون عن ثانية قادمة ، كل واحد يقول لي عن تجربة شخصية له ، عملية قلب صمام يقول لك افعلها أنا فعلتها و الحمد لله ارتحت , والآخر يقول لك انتبه فلان مات في عملية صمام و المسكين ينتفض ، المؤمن الذي يهتدي بنور القرآن لا ينتفض لأنه يعلم القضية أين ويطلب مِن مَن ! ويعلم يستشير من ويستخير من ! يقول "اللهم إني أستخيرك بعلمك" لماذا بعلمك؟ لأن الناس لا يعلمون ماذا سيحدث غداً أو بعد غد ، كل واحد يتحدث عن نفسه وعمه وخاله ، أما أنا لا يعلم عني أحد إلا الله ، وليقل : "و أستقدرك بقدرتك " أي من الممكن أجد شخص يعطيني خيار صحيح ، لكن لا يقدر يوظفني !

لكن أنت يا رب تختار لي الخير وتقدر توظفني "وأسألك من فضلك العظيم" ما هو فضله العظيم ؟ راجع حياتك ، تقف على رجليك هذا فضله ، كلاك تغسل ما جربت أن تشبك جهاز هذا فضله العظيم ، عندك عينين فضله العظيم ، أعظم فضل أن هداك للإسلام ، غيرك منطرح يدعو ويستخير بقرة وشجرة ومقبور تحت الأرض "فإنك تقدر ولا أقدر" انظر للدعاء ما ألذه, أنت ضعيف و هو القوي سبحانه ".

وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي " ويسمي حاجته الوظيفة ، الزوجة ، السيارة السفر... " خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني " الأمور الآن طيبة يقولون جيد و منظره أمامي جميل لكن لا أعلم يا رب خفاياه و أسراره وصلاحه من فساده ، لا أعلم هل تصلح لي زوجة تحفظني أو لا ، " وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به " أي ممكن يكون الخير لي غير مطروح في خياراتي أصلًا ، فاكتبه لي ، في عناية الأطفال عندنا بالمستشفى دخلت على طفل كان عنده التهاب حاد في الكلى ثم فجأة انتفخ جسمه وأصبح لا يخرج السوائل حتى العينين من عند الحاجبين امتلأت كلها بالسوائل ، الرئة في الإشاعة بيضاء لا ترى منها شيء ، الشاهد أنه حصل عنده فشل كلوي حاد ، حاول جميع الأطباء إدخال أنبوب حتى يتم الغسيل له ما استطاعوا ، فكان القرار الذهاب به لغرفة العمليات ليشق شق حتى يصل للوريد ويدخل فيه الأنبوب لتغسل الكلى ، أتيت وجدت الأم والأب يبكون عند الطفل ولا يلامون ، الساعة كانت الثانية ومساعد الاستشاري للتخدير عند الطفل ليأخذوه لغرفة العمليات ، الأوراق وقعت والعمليات تنتظرهم ، قلت لهم استخرتم على العملية ؟ قالوا لا والله ما استخرنا و لكن خلاص ، قلت خلاص ! اذهبوا استخيروا الآن ، وطبيب التخدير ينتظر أن يحملون السرير ، فخرج الأب والأم يستخيران الله عز وجل .

فجأة والله يا جماعة وهم يستخيرون جاء اتصال من العمليات لا تحضروا المريض لأن ما وجدنا أنبوب مناسب على وزن المريض ، فطلبوا من مستشفى آخر و لا يستطيعون إجراءها فأجلت للغد ، والله يا جماعة كنت مناوب ذلك الأسبوع ، في صلاة المغرب جاءني اتصال قالوا الطفل بدأ يتبول وأخرج الله هذه السموم و ذهبت الانتفاخات وخرج الطفل من بعد غد إلى الجناح ومن بعدها خرج إلى البيت فقلت سبحان الله، وجاؤوا يقولون والله ما عاد نترك الاستخارة أبداً ، وعد الله يا جماعة حق إن الله لا يخلف الميعاد ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً .

قضية الرضا بقضاء الله

ما أجمل هذا القرآن ، جاء لِيحل المشاكل كلها ، و لِيُطمئّن قلبك ، و لِينهي قضاياك ، والمسألة والمخاوف كلها , لأن الله سبحانه وتعالى يقول في هذا الكتاب أنه يحل لك قضيتين ، القضيتين هاتين إذا حُلّت انتهت أحزانك وهمومك كلها في الدنيا , ما هي تلك القضيتان ؟

قال الله سبحانه وتعالى (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) أعلم أنك تنتظرني أكمل الآية، سأكملها بإذن الله , و أعلم أن الشيطان يريد أن أكملها دون أن أقف مع الكلمتين هذه (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) لاحظت لماذا لم أعدّيها ؟ لِأن الله عز وجل ما قال فمن قرأ هُداي ، يعني الوعود التي ستأتي في نهاية الآية لا تنتظرها تحصل عندك ولا عندي إذا أول كلمتين ما حصلت عندك ، (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) ما قال حفظ ، أو تقرأ هُداي ، كل ذلك جميل لك بكل حرف عشر حسنات ، لكن لن تحصل على الهدايا والجوائز التي في آخر الآية إلا إذا اتبعت هدى الله ، يعني الكلام الذي تسمعه هنا بالقرآن تطبقه .

(يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) تغضّ ، وإذا فشلت ترجع تبكي تتوب إلى الله ، (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) تندم على كل غيبة ذكرتها أول ، وتدعوا لكل أصحابها ، (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) تحافظ ، إذًا هذه القضية على (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) يعني إذا أردت الجوائز الأخيرة ارجع لِـ آيات القرآن ، (خَاشِعُونَ) تخشع أو لا تخشع ؟ تبدأ تقيس نفسك على القرآن ، موجودة فيني أو لا ، (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) ماذا له يا رب ؟ (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) اثنتين ، ماذا يعني (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ؟ لا خوف عليهم المخاوف في المستقبل ، تقول أخاف غدًا يحدث ، أخاف أذهب و يحدث لي كذا ، أخاف أسافر ... فالخوف في المستقبل , لكن حزن ، ما بك حزين ؟ حزين على ما مضى ، إذًا الله سبحانه وتعالى ضمن لك أمرين في هذا القرآن إذا أنت تبعت ليس سمعت وحفظت وقرأت فقط ، إذا أنت تبعت هذا القرآن لك جائزتين من الله : " أنه لا مخاوف أمامك أبدًا ، ولا أحزان ورائك أبدًا "يحلّ الله قضاياك ، إذا كانت ذنوب يبشرك فيها بالمغفرة ، إذا كانت أحزان وأمور ومخاوف يحلّها لك بالقرآن، إذا كنت لست خائف من شيء أمامك ، ولست حزين على شيء خلفك ، أجل ما الذي يضيّق صدرك؟ لن تحزن أبدًا ، لأن اللحظة الآن هذه التي مضت أصبحت ماضي يعني لا أحزن عليها , اللحظة الأتية اسمها -خوف- فما أخاف , إذًا (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) من الأشياء التي يذوقها أتّباع القرآن -أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم- أنه لا يخاف ، لا يخاف إلا الله , من أقدار الله من علم الله ما يخاف ، تقول له ترى ستمرض ، سيقطع رزقك ، هذه الأمور محلولة عنده , يعلم يقينًا قول الله عز وجل (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) وفي قراءة - يهدأ قلبه ويُهدأ قلبه يعني يرتاح يؤمن أنها من الله.

ما سبب نزول هذه الآية ؟

لّما جاء كفار قريش و يرون بلال يعذّب رضي الله عنه ،و عمار ابن ياسر وأمه وهم يعذّبون ، والعائلة كلها تعذّب ، فـيقولون أرأيتم ؟ قلنا لكم لو كان أصلًا الذي أنتم مؤمنين فيه حق كان الله نجّاكم , يعني لو الله سبحانه وتعالى الذي تعبدونه هو حق أكان سيدعنا نعذبكم؟!!

الله عز وجل أنزل هذا البلسم وهذا الدواء وهذا الماء الزلال على تلك الجروح فقال (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول الله أذِنت الله أن أختبركم بهؤلاء حتى أعذِّبهم في النار ليس في الشمس مثل ما وضعوكم ، حتى أعذِّبهم في النار وأنتم أدخلكم الجنة (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ) (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) نعم .

فقال الله (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) أنا الذي أذِنت أنه يعذّبك قليلًا ويضحك قليلًا (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) .

قال (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) المؤمن يعرف هذا الكلام (قُل لَّن يُصِيبَنَا) والله لن يصيبك مرض ولا أذى ولا جرثومة ولا بكتيريا ولا تعب ولا وجع إلّا (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) مما يخاف ؟ يخوّفني من شخص في الأرض هو ما يملك شيء، يخوّفك من ساحر هو ما يملك لنفسه نفع ولا ضر مسّكين.

فـ إذًا (لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) لأجل هذا جاء القرآن يحلّ القضايا ، لما ذهب الصادقون المؤمنون ذهبوا للقتال ومات منهم من مات، رجع المنافقين قالوا (لَّوْ كَانُوا عِندَنَا) نحن قلنا لهم لا تذهبون ولا تخرجون لكن لا يسمعون الكلام (لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) ألا نسمع ناس يقولون ذهب للحج ومات قلنا له لا تذهب زحمة .

يقول الله (قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) إذا جاء وقتك ستموت والله في حرب ولا في بيتك (لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) سبحان الله . (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) بل لّما قالوا هذا الكلام قال الله عز وجل (قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فـجاء القرآن حتى يحلّ قضية أن القدر يحصل ثم أقول "لو أني فعلت كذا لـ كان كذا , هذا الذي حذرنا منه النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لا يقولنّ أحدكم لو أني فعلت كذا) "والله لو أني كنت جالس ما أصابني شيء" لو تفتح عمل الشيطان.

قال النبي عليه الصلاة والسلام (حتى يؤمن ويعلم أن ما أصابه) هذه القضية أليست موجودة فيني وفيك الإيمان فيه مشكلة , قال(حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه) ما معنى هذا الكلام ؟ يعني ؛ راكب في السيارة ومعي أحدهم يقود السيارة ، فـجاء حادث من جهة الراكب ، و كسرت رجلي ، يأتي شخص جاهل ضعيف إيمان يقول " لو أنك راكب في الخلف كان ما أصابك شيء" ! " لو أنك جالس في بيتك كان ما أصابك شيء" !

لو أنك راكب في الخلف والأمر مكتوب لك جاء الحادث من الخلف , لو أنك في بيتك أتاك ما يقص رجليّك ، سقط عليك دولاب أو سقط عليك شيء من الثقل وكسّر رجليّك .

وتعرفون تلك المرأة التي كانت تقول لابنها -خائفة أنه يسافر- لا تسافر لا تسافر يا ولدي مع فلان أنا خائفة عليك , فـنام الولد ولم توقظه ، والرجل يتصل الذي سيسافر معه فـترد عليه وتقوله نائم ، فـخرج ذاك الرجل وسافر والولد نائم ، وكانت رحلة طويلة ، جاء خبر في الأخبار الطائرة سقطت ومات من فيها ، فـجاءت الأم فرحانة توقظ الولد " قم و احمد ربك أني قلت لك وسمعت كلامي لو ذهبت كان مت" وتحرك الولد فتجده ميت !

(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ) فـأنت لن تكون مؤمن حتى تعلم (أن ما أصابك لم يكن ليخطئك) والله تاجرت هنا وخسرت ، تقول لو أني متاجر هناك كان كسبت ، لا والله مادام الله كاتبها عليك فوالله ستخسرها هنا أو هناك، تسقط هنا أو هنا.

يقول الله عز وجل (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) معقبات منهم ؟ ملائكة , ماهي وظيفة المعقبات هؤلاء؟ ملائكة عظام عندهم وظيفة محددة ، قال الله (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) وظيفتهم ؟ (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) يقول أهل التفسير ؛ أي بأمر الله.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال : هذه ملائكة تقف بين يديه ومن خلفه، والله لو تتعجّن السيارة والله سبحانه وتعالى كاتب أنه ما يموت الملائكة تصدّ عنه كل شر، تجد السيارة معدومة تقول لو فيها نملة ماتت ، ويخرج الرجل ليس فيه شيء ، لأن المعقبات الملائكة حفظوه , القزاز تكسّر و الحديد دخل بعضه في بعض و ما أصابه شيء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن الملائكة إذا كان من أمر الله عز وجل أن لا يؤذى تبقى في مكانها من بين يديه ومن خلفه فلا يؤذى .

هل رأيتم الطفل في السودان لما وقعت الطائرة مات كل من فيها إلا طفل رضيع جلس عند شجرة ، هذا معقبات واقفة بينهم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وإذا أراد الله أن يصيبه القدر وأن يصيبه الأذى والبلاء قال: تنحّت المعقبات.

إذا كانت الضربة ستكون في النخاع الملائكة الذين في الخلف أبعدوا ، فـ جاءت ضربة خفيفة وهو واقف عند الإشارة وصدمته سيارة صدمة خفيفة فتحرك النخاع الفقرتين تحركت، صار عنده ألم وجرح وإصابة في النخاع فانشل!

سبحان الله ! لأن المعقبات زالت , إذًا حبيبي الغالي إذا تدبرت هذا القرآن لن تقول كلمة -لو- في الماضي أبدًا ، لكن ممكن تقولها في المستقبل "ما رأيكم لو نذهب هنا أليس أفضل" في المستقبل ، لكن "لو أني فعلت كذا" تُمسح من قاموسك.

(ما أصابه لم يكن ليخطئه) (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ) وما كتبه الله حاصل لامحالة ،اللهم يا ربي نعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء، ومن فتنة في المحيا والممات.

كيف أثبُت ؟

موضوع يحتاجه جميع من خطى على هذه الأرض من المكلفين من الإنس و الجن الذين خاطبهم الله عز وجل وقال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) كل واحد مكلف يحتاج هذا الأمر والأمر ليس سهل.

ما هو هذا الأمر ؟

بالذات في هذا الوقت في وقت تلاطمت فيه الفتن كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً , ويمسي مؤمناً ثم قد يرى برنامج ثم تزلّ به الأقدام ويزيغ قلبه ويصبح كافراً يبيع عرضه بغرض من الدنيا رخيص ، يُعرض عليه ربا انتهى , تعرض عليه قضية عقدية يبيع دينه , يعرض عليه تعامل مع ساحر فيبيع دينه ، قال "مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم" .

الموضوع هذا كثير ما نُسأل عنه بل كثير ما نسأل نحن أنفسنا كيف نثبت ؟ الثبات دين في هذا الزمن بالذات كيف أثبت في ظل هذه الفتن مسموعة ومرئية ؟! , أنت تمشي في أمان الله في جوالك تأتيك رسالة لا تعلم من أين و صور خليعة .. كيف أثبت أنا ؟ .

هل هذا القرآن علّمني كيف أثبت أم تركنا ؟.

سنجد تفصيل في القرآن .. هل هناك ما يُثّبتني ؟ , الله سبحانه وتعالى يعلم أن أخطر عضو في الإنسان هذا القلب فأنزل له هذا القرآن , نزل به الروح الأمين على قلبك (المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ) , (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ) هذا القرآن نزل للقلب ، لماذا ؟ ليثبته ؟ نعم . من قال هذا الكلام ؟ هل أنا ألوي أعناق النصوص وأحاول لأخدم الموضوع آتي بآيات ؟ لا . الله يقول سبحانه وتعالى عن هذا القرآن عندما قال الكفار (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نـزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) قال الله (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) إذاً هذا القرآن يُثّبث قلبي ، كيف يثبت قلبي ؟! أنا أقرأه لكن لم أشعر بثبات أشعر أني متزلزل متزعزع ، قال الله (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ *وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) . كيف أثبت ؟ النبي عليه الصلاة و السلام الذي يُحب الله عز وجل من اتّبعه ،(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) ماذا ؟ (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ما ذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في موضوع الثبات ؟ كان النبي في كل مجلس , مثل هذا المجلس جلسناه هل تقدر لا نتحرك من المكان الذي نحن فيه الآن حتى نقول اللهم اغفر لي ربي اغفر لي وتب علي سبعين إلى مئة مرة كان النبي في كل مجلس يجلس الصحابة معه أي موضوع يطرق وفي أي مكان في المسجد , عند المقبرة , في الطريق , في معركة في حرب , إعداد تجهيز وقت صدقات توزيع لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله سبعين إلى مئة مرة ، يعني كثير يستغفر النبي عليه الصلاة و السلام نعم والله يستغفر ، فكم تستغفر ؟.

هل تعلم أن النبي عليه الصلاة و السلام كان عنده دعاء أكثر من هذا الاستغفار ، تقول عائشة رضي الله عنها كان أكثر دعاء النبي علية الصلاة و السلام يدعو للأمة يدعو بالجنة يدعو بتيسير الأمور إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة يدعو لأهله لكن لم يكن يدعو دعاء أكثر من هذا الدعاء ما هو ؟ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " كم تقولها ؟ , الآن نعمل برنامج عملي , في كل مجلس النبي عليه الصلاة و السلام من سبعين إلى مئة مرة يستغفر , إذًا كم كان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؟ إذا الاستغفار لم يكن أكثر شيء , كان أكثر دعاء النبي عليه الصلاة و السلام يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فكم مرة تقولها ؟ كم مرة أقولها في سجودي ؟ كم مرة أقولها و أنا في سيّارتي ؟ كم مرة أقولها وأنا فاتح الكمبيوتر عندما أخاف تخرج لي شاشة يمين أو يسار ثم يزيغ قلبي واتبعها يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

أخذت الخطوة الأولى من العملية ؟ , تقدر تستغفر سبعين مرة إلى مئة ؟ ستتغيّر حياتك , وهم يتكلمون يوجد فراغات استغلّها بنفسك " مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي " استغفر ، و أكثر من استغفارك يا مقلب القلوب لأن لا أحد يقدر يثّبت القلوب إلا الله ، حتى قلب النبي عليه الصلاة و السلام ؟ حتى قلب النبي عليه الصلاة و السلام , من الذي يقول هذا الكلام ؟ كتاب الله، يقول الله عز وجل(وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) فعلوا للنبي فتن أرادوا ليفتنوه بنص القرآن نعطيك و نزوجك ونعبد إلهك (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول الله من كثرة العروض التي عرضوها عليه (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) عن ماذا ؟ (عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ *وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا) ولولا ماذا؟

(وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ) لاحظ لم يقل لولا أن ثبت ، الثبات ليس من عند البشر ، هذه القلوب المضغ التي داخل الصدور لا يثبّتها إلا الله ، قال (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) أردت أن تذهب معهم قليلا ، إذاً ماذا سيكون لو زاغت القلوب قليلًا , بمعنى كثيرًا مع الله وقليل مع الشيطان ، ماذا سيكون ؟ قال الله (وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ) تعلم تفسير الآية ؟ بمعنى لو زغت يا محمد وحاشاه شيئاً قليلًا لأذقناك ضعف عذاب أهل الأرض في الدنيا ضعف الحياة ، و إذا توفيت ؟ وضعف الممات نعذبك وحاشاه نبينا عليه الصلاة و السلام ضعف عذاب أهل الأرض تحت الأرض ، ويوم العرض (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) يوم القيامة تريد أن تشفع يقال لك كن مع الناس , كل هذا على قضيّة زيغ القلب شيئاً قليلًا ,كم زاغ قلبي و قلبك ؟ نحتاج ندعوا كثيراً في سجودنا فلا ترفع من سجودك بدون أن تقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك , كيف ثبت النبي عليه الصلاة و السلام ؟ عندما جاءت الرسالة له (ثبّتناك) علم أن الثبات لا يكون من أحد إلا من عند الله فأصبح دائماً يلتجئ للذي عنده الثبات يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي الحديث " القلب كريشة في مهب الريح" ريشة تذهب و تذهب وتأتي الرياح وتنزل بها تحت وتأتي رياح ترفعها فوق ، إذا ما ثبتك الله عز وجل .

برنامج عملي يقول الله في القرآن(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ) يقول الله لو , لكن أنا لم أطلب منهم إلا توبة يتوبها إلى الله بدون أن يقتل نفسه أو يقطع يده التي عصا فيها ولا رجله التي خطا فيها إلى الحرام ولا عينه التي نظر فيها الحرام ولا يقطع لسانه الذي تكلم في حرام ، لكن طلبنا منه توبة أسأل أن يتوب علينا وعليكم .

النبي عليه الصلاة و السلام جالس يقول الآية نزلت فأصبح بعض الصحابة في الطرقات يقولون والله لو فعل ربُّنا لفعلنا , يقولون أقسم بالله لو الآية لم يوجد بها لو ، لو الآية اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم والله نخرج من بيوتنا نقتّل أنفسنا أمام الناس فجاؤوا عند النبي عليه الصلاة و السلام فقالو يا رسول الله أصحابك يقولون لو أنّ الله فعل لفعلنا فقال النبي عليه الصلاة و السلام لا إله إلا الله للإيمان في قلوب أصحبه أشد ثباتاً من الجبال الراسيات يتزلزل الجبل ولا يتزلزل إيمانهم , والنبي يفسر هذه الآية دخل رجل اسمه عبدالله فقال النبي عليه الصلاة و السلام وهو ينظر للرجل ، قال: والذي نفس محمد بيده إن هذا منهم ، يقول والله لو نقول له الآن لا يرجع منزلهم يقتل نفسه الآن عبدالله ابن رواحه - رضي الله عنه -.

ماذا قال بعدها الله عز وجل ؟ ، قال (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) ماذا سيكون ؟ لو كل ما سمع آية راجع نفسه كنت أفعلها أم لم أفعلها اذ لم أفعلها يا رب سامحني وبدأ يعالج نفسه يجاهدها , أخطأ يرجع مرة ثانية (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ) لكان ماذا يا رب ؟ (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) والله إنه يثبت(وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) افعل ما توعظ به ، كل ما سمعت آية طبّقها يُثبتك الله ويثبتني و أكثر من الدعاء .

كيف نشكر اللّه ؟!

موضوع يعجز اللسان أن يتكلم عنه و تعجز الأقلام أن تكتب عنه ، موضوع الله سبحانه و تعالى يحب من عبده أن يفعله ، و من يستطيع فعله ؟ بل تحدى الله سبحانه و تعالى العبد ليس أن يفعله أو يحصيه! بل تحداه بأبعد من هذا قال الله جل جلاله (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا*إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار) سبحان الله! يعني ما تحداك الله عز وجل أو تحداني أن نشكر نعم الله سبحانه و تعالى ؟ لا ، الموضوع أكبر من أن تشكر ، تحداني الله و إياك أن نعد ، يعني تخيل واحد من البشر يعطيك في اليوم خمس سيارات و غدًا تجده كاتب معرض سيارات باسمك ، و بعده معطيك مخطط من الأراضي باسمك ، ثم فجأة يقول لك هذه تذاكر سفر لمدة سنة محجوز لك في أحسن الفنادق و الشاليهات على حسابي ، ثم فجأة دخل في رصيدك على حسابك خمسة مليار ، و أعطاك ساعة بخمسين ألف، ثم في أخر السنة يقول لك أنا لا أريدك تشكرني ، أنا أتحداك تعد الذي أعطيتك .

الله عز وجل قال (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا *إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار) فكيف تشكر الله سبحانه و تعالى ؟ الله سبحانه و تعالى لما تكلم عن الشكر في هذا القرآن العظيم تكلم بطريقة عجيبة ، ما الفرق بين الحمد و الشكر ؟ كلها مفصلة في القرآن قال تعالى (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) يقول الله عز و جل لما يذكر الحمد (وَقُلِالْحَمْدُ لِلَّهِ) ، (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ) ، (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) كلها قبلها قال ، قيل ، قالوا ، لكن لما جاء عند الشكر ما قال: قالوا ، قيل ، قال ، لا. قال (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) سبحان الله ! الحمد من جهة الأوقات يقول الله (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) في كل الأوقات و في كل الأماكن ، أما الشكر فجاء بالعمل , قال (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) تعرف ماذا كان يفعل داوود ؟ انظروا كيف امتثالهم لما قيل له (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) كان مقسم أوقات الليل ، آل داود كلهم ما تمر ساعة من ساعات الليل إلا أحد من آل داود واقف يشكر الله عز و جل يا رب لك الحمد أطعمتنا و سقيتنا و رزقتنا و هديتنا ،و ينتهي و يأتي الثاني حتى تكون أخر ساعة لداوود عليه السلام ، قال فكان إذا جاء داوود عليه السلام وقف بين يدي الله ليشكر يقول يا ربي إن كان وقوفي بين يديك الآن لأشكرك نعمة تستحق الشكر فكيف أشكرك يا الله ؟ و أنا الآن وقوفي لأشكرك نعمة ، غيري يشكر بقرة ، و أنا أشكرك أنت فهذه نعمة فكيف أشكرك عليها ؟

فأوحى الله إلى داوود عليه السلام فقال الله الأن يا داود شكرتني ، جاؤوا عند الجُنيد رحمه الله قالوا يا جنيد حدثنا عن الشكر ، حقيقة الشكر ، ماذا يعني الشكر؟ نسمع عن الشكر فما معنى شكر ؟

يريدون محاضرة فأعطاهم كلمات معدودة على الأصابع في أقل من دقيقة! بل أقل من نصف دقيقة قالوا حدثنا عن حقيقة الشكر ؟ كيف أشكر الله ؟ كيف أكون عند الله عبداً شكورا ؟ قال: حقيقة الشكر يا هؤلاء أن لا نستعين بنعم الله على معصيته ،أي شيء عندك تشعر أنه نعمة من نعم الله لا تستعين عليه بمعصية و إذا عصيت لا يمر الأمر عندك بدون ما تتوب إلى الله عز و جل ، لأجل هذا النبي عليه الصلاة و السلام كان يقوم حتى تتفطر قدماه وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ،قيل له يا رسول الله أنت مغفور ذنبك ما تأخر و ما تقدم ، قال أفلا أكون عبداً شكورًا ، سأخبرك عن نعمة واحدة و أحاول أنا و إياك نشكر هذه النعمة، أكثر الناس لا يعرف أصلًا ما هي! فضلًا على أنه يرى هو يقدر يشكر أو لا ؟ كم لتر من الدم تجري في جسمي الأن و في جسمك و أنت تسمعني ؟ الكلام هذا طاقة و الحركات هذه طاقة لها أكسجين لأجل تتحرك ، و تحتاج غذاء و تحتاج تزول السموم منها ثاني أكسيد الكربون و و.... القضية ليست سهلة ، أي آلة لا تعمل بدون ما يكون عندها طاقة ؟ طيب كم لتر من الدم ؟ أتعلم لو ينقطع قليل من الدم لمدة ثواني في المخ جلطة ، أسقط على رأسي و إذا سقطت على رأسي تنتهي قضيتك ، إن كانت اليسار لا تحرك اليمين و أن كانت اليمين ما تحرك اليسار ، وهي فقط ثواني !! كم لتر من الدم ؟ ستة لتر ؟لن نتكلم عن الستة لتر و الله لن نشكر الستة لتر لو نموت ، لو نعمر عمر نوح ساجدين على أسنة الرماح و على ألسنة اللهب و الله ما نشكر .

دعنا الآن نأخذ منها مل لتر مكعب ، يعني أربع قطرات ، لن نشكر الأربع قطرات و الله لو تعيش مئتين سنة أنت و أولادك ما تنامون الليل قيام و في النهار صيام والله لا تشكرون قطرة فضلًا عن الأربع ، لكن فكر معي لو أخذنا أربع مل لتر مكعب. المل لتر مكعب فيه يود و بوتاسيوم و صوديوم و معادن و الإلكترونات و كرات الدم البيضاء والحمراء ، لن نشكر هذه كلها! نريد نركز فقط على الأربع القطرات كم فيها من كرة حمراء ؟ فيها خمسة مليون كرة حمراء ، أخرج الخمس مليون و دع الملايين من العناصر و المواد ،الخمس ملايين كرة حمراء في الأربع قطرات و الله لن تستطيع أن تشكر الخمس مليون ، أخرج واحدة ، الكرة الواحدة الحمراء داخلها أربع جزيئات هيموجلوبين فيها ثلاث مئة مليون جزئ هيموجلوبين! كرة حمراء من بين خمس مليون من أربع قطرات من ستة لتر من الدم ، الكرة الحمراء الوحدة فيها ثلاث مائة مليون جزئ هيموجلوبين! و أنا أتنفس الأن و تسمعني أخذت نفس دخل أكسجين راح ليلتقي بالكرة الحمراء ، الكرة الحمراء الواحدة فيها ثلاث مائة مليون جزئ هيموجلوبين في كل جزئ هيموجلوبين تتعلق فيه أربع ذرات أكسجين من الذي تنفسته الآن نفس واحد! صار عندي في الكرة الحمراء كم؟ مليار و ثلاث مائة أو مائتين مليون ذرة أكسجين في الكرة الحمراء الواحدة! لو تدفع ريال على كل جزئ هيموجلوبين على كل ذرة أكسجين كم تدفع؟ تدفع مليار و ثلاث مائة مليون ريال أو جنيه أو دولار أو درهم تدفعها على كل كرة حمراء واحدة ، أضربها في خمس مليون أو أضربها في ستة لتر ،لأبنائك كم تدفع؟ والله العظيم ستفلس في نصف ثانية ! لأنك لن تقدر أن تسدد حقك و لا حق أبنائك والله لو كنت أغنى أغنياء العالم!

عرفنا في هذه القطرة يضخها هذا القلب إلى عينك ؟ فلا ترى حرام ، و إذا رأيت حرام أسجد لله ركعتين و أبكِ . هذا الدم غالي (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) علمنا النبي عليه الصلاة والسلام من خلال هذا القران كيف نشكر الله . قول اللهم أعني على ذكرك، و على شكرك ، و على حسن عبادتك . إذ لا يعين على هذا الأمر إلا الله سبحانه و تعالى . ربي أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا و على والدينا و أن نعمل صالحاً ترضاه و أصلح لنا في ذريتنا و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. اللهم أجعلنا من الشاكرين.

أمر يجعل عملك هباءً منثوراً

حبيبي الغالي أختي الغالية ، تصوم و تقوم و تصلي المفروضة و تتصدق و تقول للناس حسنى و تصدق في معاملاتك و تُكسب أولادك كسباً حلالًا كل هذه الأعمال حتى تدخل في رصيدك إلى أمرين اثنين ، أي خلل في الأمرين لن يدخل في هذا العمل ولكن سيذهب إلى حساب آخر , حساب اسمه الهباء قال الله عز وجل عن هذا الحساب (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) طاش وطار ، طاشت به الموازين سبحان الله لماذا ؟ لأنه خلى من أحد الأمرين ، الأمر الأول اسمه الإخلاص ، يعني ما عملت هذا العمل إلا أرجو به أمر واحد الله أن يرضى عني اله ، الشرط الثاني المتابعة ، أن تكون هذه العبادة ليست من تأليفي أنا أو أسمعها من فلان ألفها بل يجب أن تكون مصدرها الكتاب والسنة لأن الله قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) لم يقل الله عز وجل خذ أي تأليف من الدين لا (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) .

أي أمر ما لم يأذن به الله ، إذاً هذان الشرطان لابد أن يجتمعا حتى يدخل عملك في رصيدك , نتكلم عن الأول ماهي أهميته ؟ أصلًا أنا وأنت أخي الغالي وأختي الغالية ما أمرنا في هذا الكتاب كله أن نعمل أي عمل ولا حركة ولا لفتة ولا ريال ولا درهم ولا جنيه ولا صلاة ولا ركعة ولا سجدة إلا بأمر (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) حسناً عبدنا الله ما هو الشرط في العبادة (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) الذين يعبدون الله بدون اخلاص لا يقبل منهم (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ وَذَلِكَ) ما هو ذلك؟ (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة) ، اقرأ معي في سورة الزمر أفتح (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) ما المطلوب ؟ (فَاعْبُدِ اللَّه) هل نعبد الله بأي طريقة (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) لماذا؟ سيأتيك الجواب قبل أن تنتهي الآية (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) أي شيء ليس خالص لا يريده الله عز وجل ، لأجل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمِل عمَل أشرك فيه معي غيري , لاحظ الكلام دقيق أشرك فيه يعني في العمل معي غيري يعني الأصل الله ومع الله أحد ، يعني لله ٩٩٪ و ١٪ لفلان , ليقول فلان والله بيض الله وجهك أشرك فيه معي غيري لم يقل تركت الجزء المشرك فيه ، لا .. قال تركته وشركه ، الشيخ محمد حسين يعقوب جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأمد في عمره على طاعته يقول لو شخص يقول لزوجته تحبيني بمقدار ماذا قالت له أنا أحبك ٩٨٪ يقول الأن هو لن ينظر لـ ٩٨ وسيفكر ٢ المتبقية أين ذهبت ! فسيقول لها ٩٨ حسناً .

الـ ٢ أين فقالت له أنت ٩٨ أكبر جزء في قلبي لكن ٢ فقط أحب ولد الجيران يقول والله أن يطلقها مباشرة هذا الأن زوج يعني لم يقدم لها قلب ولا كلى ولا رئتين ولا لسان ولا شفتين و غضب لأنه يرى أنه هو المستحق ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى .

(أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) كيف أعرف أني مخلص أو لا ؟ وكيف أصل إلى الإخلاص ؟ وكيف أعالج نفسي ؟ يعني الآن حينما أُرائي وأرى أن عملي هذا جميل , داعية إلى الله يدعو يحفظ يتكلم عند الناس أعطني واحدة فقط من التي ترائي فيها هي منك , حفظك للقرآن ليس منك بل هدايتك للدين ليس منك وهدايتك للإسلام ليست منك وهدايتك للسنة في الإسلام ليست منك وهدايتك داخل السنة للصواب وتجنيبك للضلال ليست منك , إذن على ماذا ترائي ؟ تعجب على ماذا ؟ يعني الأن صليت و عندما رأيتني أطلت ما هو الذي مني لأجل أعجب فيني ؟

الهداية من الله والذي وفقني للصلاة هو الله ، لو شاء الله عز وجل لجعلني مجنون مع المجانين ، ولو شاء الله لجعلني لدي خلل و زيادة في كهرباء المخ أصرع وأسقط لا أعلم عن شيء ، لو شاء الله لجعلني أسجد عند بقرة فإذاً ماذا منك لتعجب بنفسك؟ لا يوجد شيء ، هو الله لأجل ذلك (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) فلا بد أن تعلم من أنت ، تصدقت ب ١٠٠ ريال تعال الأن أنا جئت معي ١٠٠ ريال أو جنيه أو دولار وذهبت تصدقت لأجل يراني فلان حسناً أعطني لحظة واحدة من هذه القصة كاملة أنت لك يد بها ، من هداك ؟ الله ، المئة من أين أتيت بها ؟ .

من الله ، خطواتك التي تحركتِ من منْ ؟ الله لو شاء لجعلك أنت الفقير وذاك الفقير هو الذي يتصدق عليك إذاً هي من الله فالمفترض أنا لا أعجب بنفسي أعجب بالله سبحانه وتعالى فأزداد له حباً وأزداد له شكراً ، فكيف أخلص لله عز وجل نيتي !؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام : الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل ، وأنت تسمعني الأن وأنا واقف الأن وجالس مرت نملة تحت قدمي هل أنا أشعر ؟ لم أشعر ، فالشرك خطير , الرياء هذا خطير فقال أنه أخفى من دبيب النمل ، يعني أنت لا تسمع دبيب النمل فأنت لا تشعر بنفسك وقلبك يزيغ لفلان وفلان فأبو بكر رضي الله عنه الأسد البطل مباشرة يريد الحل قال يا رسول الله بما أن القضية بهذا الشكل من الخفاء ، يا رسول الله إذاً ما المخرج وكيف نخرج منها ، شيء لا أعلم عنه كيف أعالجه فقال النبي عليه الصلاة والسلام ، أحفظ هذا الدعاء خذ قلم وسجله الآن ، أعطى أبو بكر رضي الله عنه الحل ، لكن المشكلة ليست بوجود الحل المشكلة يا حبيبي الغالي هل نحن نطبق الحل !!قال : قل اللهم إني أعوذ بك ، يعني قل يا رب إني أستجير بك شيء لا أعلم عنه مثل دبيب النمل ، قال : إني أعوذ بك أن أشرك بك شيء أعلمه ، و أستغفرك لما لا أعلمه ، يعني يا رب إني أعوذ بك أن أبتغي وجه فلان وفلان ، و أستغفرك لشيء يدخل وأنا لا أعلم عنه أصلًا ، لا الذي أعلم عنه ولا الذي لا أعلم عنه , فكم نقول هذا الدعاء وكم تقول هذا الدعاء أخي الغالي؟! لا يهم ماذا تُظهر للناس لو تظهر للناس أحسن ما فيك والله لن يضع الله ما في قلوب الناس لك إلا ما يعلمه الله منك ، تجد شخص أحياناً يصلي أمام الآخرين بشكل جميل ، والناس سلموا عليه و لم يقولوا له والله ما شاء الله عليك!! أزالها الله سبحانه وتعالى .

إذاً ليس ما تظهره أنت ، الذي بينك وبين الله هو الذي سيظهر ولا يهمك الناس ، ماذا ستجد من الناس لو اجتمعوا كل الناس يكافئونك أنك تصدقت بمليون ، ماذا سيعطونك ! قلب؟ كلى؟ رئة؟ يا أخي الله سيعطيك الجنة ، فلا تضيع عملك ، الله لا يجعلنا و إياكم منهم.

حسناً كيف أخلص نيتي لله سبحانه وتعالى لا تظهر إلا شيء يظهر أمام الناس لا تحاول تظهر للناس أنك صالح , لا أنت أثبت بينك وبين نفسك الذي بينك وبين الله صالح , يظهر الله في قلوب الناس رغمًا عنهم , جاء المنافقون قالو نشهد كلام جميل وفعل جميل , جاء المنافقون دخلوا على النبي عليه الصلاة والسلام و قالوا نشهد إنك لرسول الله قال الله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) سبحان الله هو أظهر شيء و أخرج الله عكسه وهذا الذي بالضبط الذي يحصل عندنا إذا نحن نريد أن نظهر للناس أننا رائعين و إنا صالحين , الله لا يجعل في قلوب الناس أنك صالح والله لو تفعل الأفاعيل , حتى تقول أكيد لم يروني بلا رأوك لكن الله يعلم منك أنك لا تستحق لا أتكلم عنك أتكلم عن البعيد المرائي الله لا يجعلني وإياكم منهم .

في الجهة المقابلة يأتي أقوام سبعة لديهم إخلاص ، يعاملون الله سبحانه وتعالى قالوا يا رسول الله سنخرج معك لتبوك ودعنا أهلنا سنقدم أرواحنا في سبيل الله خالصه نريد زاد وراحلة , فقط بعير يحملنا ونذهب نقدم أرواحنا قال النبي عليه الصلاة والسلام ليس لدي (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) ليس لدي بعير يحملكم (قُلْتَ لَا أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) انظر هم واقفون والنبي عليه الصلاة والسلام أمامهم قال الله عز وجل (تَوَلَّوْا) لم يبكوا عند الرسول عليه الصلاة والسلام.

يعني أنظر يا رسول الله والله نحن صادقون لا (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ) حسناً الآن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يرى أعينهم لا يراها إلا الله معطين النبي عليه الصلاة والسلام ظهورهم (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) لماذا الله يظهرها هم أخفوها ، لو أحد مقابلهم ورآهم يبكون قال نعم هؤلاء يكذبون ، فقط يبكون أمام الرسول عليه الصلاة والسلام قال الله (حَزَنًا) من قلوبهم (أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) حينما رجعوا من المعركة يقول عمر بن الخطاب قال النبي عليه الصلاة والسلام : إن في المدينة أقواماً والله ما وطئتم موطئاً يغيض الكفار ولا نلتم من عدوٍ نيلًا ولا أصابتكم هذه الشمس ولا أنفقتم من نفقةٍ إلا كتب لهم بها عمل صالح ، عمر عليه رضوان الله كاد أن يجن قال يا رسول الله وهم في المدينة لم يخرجوا ولهم مثل ما عملنا قال نعم قال الله (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) انوي الخير كما قال أحمد ابن حنبل رحمه الله يقول لابن عبدالله انوي الخير فإنك في خير ما نويت الخير, انوي غداً أنك تصلي الفجر أول واحد في المسجد ، انوي أنك تحفظ القرآن ، انوي الخير فإنك في خير ما نويت الخير

أسأل الله أن يجعلني وإياكم في خير في الدنيا والأخرة وأصل وأسلم على أشرف خلق الله أجمعين.

هل جربت الفقد ؟ !

تمر علينا ساعات من الحرمان ، وتمر ساعات نفقد فيها أحب الناس إلينا وتمر على آخرين ساعات لا يجد فيها اللقمة تسد جوعه ، والآخر يُحرم الحرية التي بها يتحرك فتجده قابع في غرفة أو في زنزانة وحيدًا فريدًا ، هذه المشاكل والهموم والغموم هل لها من وصفةٍ ؟ علمنا الله سبحانه وتعالى الذي قال جل في علاه (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) هذا الكتاب الذي اتفقنا أن فيه حل لكل مشكلة على وجه الأرض ، قد يمر بها أي مخلوق وليس فقط البشر ولكن المكلف من الإنس والجن فيه تفصيل في هذا الكتاب كما ذكرنا قول الله عز وجل (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) (تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) إذا حُرمت ، إذا فقدت حبيب ، إذا فقدت المال مصدر الرزق ، إذا فقدت المسكن المأوى قال الله عز وجل في رسالة عظيمة واضحة لكل مهموم متدبر ، أما المهموم الذي لا يتدبر يتيه كما قال اله عز وجل (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) حياة الإنسان الخالية من القرآن مثل الميت بالضبط (فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) يمشي وعنده أنوار(كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) سبحانك إذن ما هي الوصفة في هذا الكتاب إذا أصابني الهم و تكالبت علي الهموم والكروب والغموم قال الله عز وجل في ٥ آيات في سورة البقرة فيها وصفة ومخرج من كل مشكلة على وجه الأرض يقول الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) لاحظ ما قال يا أيها الناس لأن ليس كل الناس يستفيد من هذا القرآن ويعلم أن الكلام في القرآن حق ، ويعلم أن ما عليه إلا أن يتبع ويحقق الشرط فيأتيه الوعد ، يطبق هذا الكلام يجد الوعود صادقة لا تخطئ لأنها من الله .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ،ماذا نفعل يا رب إذا أصابتنا الهموم والغموم ؟ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا) بمن ؟ بضعفاء البشر ؟ بالرؤساء والمدراء ؟ لا .. قبل ذلك تستعين بمن أعظم منهم كلهم ما هو ؟ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) يقول شخص هذه نعرفها , إذا ما ذقت العسل لن نشرح لك ما هو طعم العسل , وإذا لم تبتل عروقك بالماء لن نشرح لك ونتكلم لك عن الماء حتى تذوقه حبيبي الغالي , (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) لأجل هذا النبي كان فاهم بأبي وأمي عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر و جاءه خبر كدّر خاطره أو مشكلة فزع إلى الصلاة , الله أكبر أنا أعرف من أبث له أحزاني , أعرف أتكلم وأشكي لمن , لمن بيده ملكوت كل شيء فالله يقول اصبر إذا جاءتك المصيبة واستعن وضع كل ما عندك في تلك السجدات والركعات.

ابن عباس كان عنده بنت وحيدة رضي الله عنهما وجاء من السفر , تخيل لا يوجد جوالات ولا اتصالات ولا أي شيء ، فقلبه سابق خطوات ناقته ، وسار إلى المدينة لأجل أن يرى ابنته الصغيرة التي اشتاق لها ، وهو في الطريق ماتت ابنته عليها رحمة الله ، فأول ما دخل ابن عباس أشواقه تسبق خطواته فجاء شخص يصرخ يقول يا ابن عباس يا ابن عباس ابنتك ماتت عظّم الله أجرك .. انظر الصدمة ، الصحابة الذين معه ينظرون إلى ابن عباس الآن هو على الناقة هل سيسقط من على الناقة فيخرّ ويموت أو يغشى عليه ، فنزل من الناقة أمام الصحابة كأنه يخطو على قلوبهم ثم جاء إلى شجرة وربط ناقته فيها ثم قال الله أكبر (صلى) ثم قرأ ثم ركع ثم رفع ثم سجد وأطال السجود فلما انتهى ابن عباس قالوا يا ابن عباس يأتيك الخبر أن ابنتك ماتت و لا تذهب ترى ما الخبر وكيف ماتت ومتى ، فقال إن الله جل جلاله أعطاني العلاج في القرآن .

قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) قال فصبرت (وَالصَّلَاةِ) قال فصليت فربط الله على قلبي وأنا مرتاح الآن (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ماذا قال بعدها سبحانه علاج و بلسم (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ) سبحانه له الملك ارفع رأسك إلى السماء كلها قبضته ، الأرض كلها بيمينه ، أمور الدنيا كلها من السماء (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) .

(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) إذا كان الله معك اقرأ الآية بعدها تفهم ما معنى أن الله معك ، إذا كان الله معك لا يضرك لو الأمة كلها ضدك ، ماذا قال الله سبحانه دعونا نتذوق نتدبر الآيات بقلوبنا ، الآية التي بعدها قال (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ) واحد يقرأ يقول ما قضية الأموات بأني إذا جاءتني مصيبة أذهب أصلي وأصبر هذا فهمي وفهمك حبيبي الغالي لكن والله ما جاء هذا السياق والآيات اعتباطاً (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) كل آية ما جاءت التي بعدها إلا لأجل أن تعلمك أمر وعلاج وفائدة في حياتك اليومية حتى تموت ، ما علاقة هذه (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) ما علاقتها بالآيات ؟ يقولك الله عز وجل طلبنا منك تصبر وتستعين بالصبر والصلاة وأكون أنا معك تريد مثال كيف نقلب حالك أنا كنت مع الشهيد الذي صبر و ودّع أهله وقبّل أبناءه وإخوانه وهو يعلم أنها قد تكون آخر مرة يراهم فلما خرج للجهاد وهو صابر محتسب لي فلما كنت معه مات ، فقلبت موته حياة ، انتبه تقول أنه مات قل قُتل لكن لا تقول للشهيد مات ، أنا أموت أنت تموت نسأل الله أن يجعلنا من الشهداء ، (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ).

إذا كان الله معك يقدر يقلب موتك حياة إذًا والله يقدر يقلب أحزانك أفراح ، و يقدر يقلب همومك إلى سعادة تملأ الدنيا كلها ، ستجد أن السياق عجيب قال الله بعدها (بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) (عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) هناك ماذا قال الله بعدها ؟ قال (لَنَبْلُوَنَّكُم) هذه اللام لام القسم ، الله سبحانه وتعالى لا يحتاج أن يقسم ، لو قال نبلونكم والله سيفعل فكيف إذا أقسم سبحانه ، قال (لَنَبْلُوَنَّكُم) اللام موطّئة للقسم ، كل من يقرأ والكاتب والحاضر والغائب والله سيبتلون لأن الله أقسم .. يبتلون بماذا ؟ (لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) بخمس أمور ، هذه الخمسة والله ستذوقها ، قد لا تذوق الأول لكن يكون عندك نقص من الأموال ، قد تكون تاجر لكن عندك نقص في الأنفس أي أنك تفقد أولادك ، والله سنذوقها، إذن والله إن أخطأتك الأولى لن تخطئك الثانية ، لكن والله لن يخرج أحد من هذه الأرض حتى يبتلى بشيء من هذه الخمس .

كيف تحل مشكلتك ؟

قرأنا في سياق سورة البقرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) ثم قلنا الآية التي بعدها (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ) ما هو عكس الموت؟ الحياة ، هو حي لكن لا تشعرون ، لأن الحياة له ليست لي ولك ، لماذا هو يُقلب موته إلى حياة وكل الناس يموتون مثل الآخرين ! لأن هذا استعان بالله عز وجل فكان الله معه ، إذا كان الله معك يقلب أمورك ، ثم قال سبحانه (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ) الله سبحانه وتعالى ما يحتاج يقسم حتى نصدقه هو صادق سبحانه أصدق القائلين .

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) من دون أن يحلف كيف وهو يقسم سبحانه ، قال (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ) هل ذقته ؟ (بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) لن تخرج من الدنيا حتى تصيبك الخمسة أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة ، والله ليس هذا المسكين يحلف بل الله سبحانه أقسم وإذا أقسم سيقع القسم ، إذًا ما هو المخرج ؟ قال الله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ * وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) كل قضية كيف تخرج منها ، لن تخرج إلا بهذا القرآن ، قال سبحانه (بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ) سبحان الله وسط هذه الآلام التي بمجرد ذكرها يكدر الخاطر ، وسط هذه الآلام تأتي البشارة ، من أين تأتي هذه البشارة من بين أني أفقد أبناء في بيتي وأفقد مال وأجوع وأذوق طعم الخوف ، نعم قال الله بشّر (وَبَشِّرِ) من ؟ الناس ؟ لا ، البلاء لكل الناس لكن البشارة ليست لكل الناس ،لمن يا رب ؟ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) من هم ؟ ارجع قبل ثلاث آيات (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) هنا يقول (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) سيشرح لك ما معنى الصابرين ، من هم يا رب الذين تعينهم ومن الذين أنت معهم ؟ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) آية وكلمة تدخل قلبي وقلبك غير لما تدخل أذني وأذنك (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) ارجع لكل بلاء صار لك في حياتك ، كل خبر جاءك أفزع قلبك و أقظ مضجعك وقل لي هل تصرفنا نفس التصرف الذي وصفه الله عن الناس الذين يحبهم ؟ وتكفل سبحانه أن يعينهم وأن يكون معهم (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) من هم يا رب ؟ (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ) قيل له يوم التحليل جاء عند العيادة وقالوا له والله التحليل أظهر أن عندك سرطان ، أصابتهم مصيبة ، جاءه اتصال ولدك الآن أصابه حادث وفي الإسعاف ويقولون أنه بين الحياة والموت ، أصابتهم مصيبة ، قيل له فقدت وظيفتك ، ما الذي حصل ؟

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ) ماذا ؟ (قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ) نحن خرجنا لهذه الحياة عراة من بُطُون أمهاتنا ليس عندنا شيء ، هو الذي كسانا ، وهو الذي أطعمنا ، وهو الذي سقانا , وهو الذي أعطانا كل شيء ، فكل شيء أصلًا فضل من عنده فنحن له ، أنا لما أرمي هذا الشماغ الذي علي الآن وتأتي تقول لي لماذا ترميه ؟ أقول لك هذا الشماغ لي ولا أحد يسألني عنه ، هذا وأنا أفعل بغير حكمة فكيف بالحكيم الخبير سبحانه وتعالى ، فكل شيء منه سبحانه ، لكن تعال كيف أكسب من هذه الهم وهذا الغم وهذه الأزمة إلى أن يفرج عني تفريج لا مثل له أبداً ، قال الله عز وجل من يتصف بهذه الصفات يكون له فرج غير طبيعي ينجح ويخرج من أي أزمة كأحسن ما يكون خروج ، ماهي هذه الصفات؟

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) يعني لو أعطيتك اليوم مليون و غدًا أعطيتك عشرين مليار وبعده أعطيتك سيارة وبعد أربع أيام أعطيتك بيت وبعدها أعطيتك مزرعة ثم جئت وأخذت من جيبك خمس ريال تحزن ؟ لا .. ستقول يا أخي فداك , أنت ما أخذت شيء كلها لك ، إذاً لماذا مع الله ؟ نعم هناك حزن لكن لابد أن نعرف نِعَم الله لأجل نعرف نشكره عليها ، إذا أخذ منها شيء ، هي كلها من الله لماذا نطبقها مع البشر ومع الله لا ،قال الله عز وجل (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ) مُلك الله أعطاني كليتين أخذ واحدة هي له أخذ الثنتين أصلًا هي له (قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) سوف تنتهي الحياة بالنهاية و سنرجع لله سبحانه وتعالى بعد الموت ، وسيجازينا على هذه الكلمات (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) انظروا للجوائز ، حسنًا إذا عملت هذه الأعمال ، دائماً وأنت تقرأ القرآن اسأل نفسك : يا رب إذا عملت هذه ما جزائي.

(أُولَئِكَ)مالهم يا رب؟ (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ) انظر كيف تأتيهم كأنها تنزل عليهم من السماء (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) هذا كلام كبير لكن تريدون تعرفون ما معنى صلوات من ربهم يعني ما الذي سيحدث للذين عليهم صلوات من ربهم ، أكثر أئمة المساجد وخذها من عندي وتذكر الصلوات خصوصا في رمضان إذا قرؤوا هذه الآية على طول الله أكبر ويركع لأن أكثر الناس لا يعرف أن هذه الآية والتي بعدها ليس لهم علاقة ببعض أبداً ، ماهي الآية التي بعدها شيء عجيب وهذا هو السر وهنا العجب وهنا هو الإعجاز في هذا الكتاب العظيم الآية التي تليها ماهي؟ قال الله عز وجل (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ) يقولك شخص انظر كُنَّا في جو الصبر وجزائه وصلوات من ربكم وبلاء وكيف المخرج ثم خرجنا الآن نفكر في مكة ، لا .. حبيبي الغالي هذا فهمي وفهمك ، هذا كلام الله فإذا كنت وأنت تقرأ رسالة الدكتوراه أو الماجستير تقول هذا السطر لا ينفع هنا فكيف بالله عز وجل ولله المثل الأعلى الذي أحكم هذا الكتاب ،قال الله بعدها (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) ماهي علاقة هذا الكلام ؟

أصلًا لو بحثت في القرآن من الفاتحة إلى الناس تبحث عن آية تركب هنا لن تجد أعظم من هذه الآية لماذا ؟ الصفا والمروة من وين عرفناها !قصة من ! سميت الصفا والمروة بعد من ؟ بعد هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام لما جاء وتركها في الوادي هي وابنها أخذا يأكلان و فجأة خرج إبراهيم وتركهم عليه السلام ، ما الذي حصل لها في الوادي ؟ حصل لها كل المشاكل التي ذكرناها في الآية التي قبلها ، جاء إبراهيم عليه السلام أمر من الله ثم تركهم ، فذهبت تلحق إبراهيم تقول يا إبراهيم لمن تتركنا ؟

و لا يتكلم معها ، طفلها عطش وأصبح يرفس برجليه من العطش فهي تنظر إلى إبراهيم وإلى طفلها إسماعيل فتقول يا إبراهيم لمن تتركنا لا يرد عليها , جائه الأمر من الله فسار و تركهم ، فقالت أسألك يا إبراهيم آلله أمرك بهذا ؟ الله الذي قال لك قم واتركهم ؟ قال اللهم نعم ، سبحان الله فلما قال لها نعم لم تقل تأتي بنا لهذا الوادي أنا والطفل وتتركنا فلماذا تزوجتني وتتركنا في هذا المكان وتذهب ، لا .. بل قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذهب فو الله إذًا لا يضيعنا ، مادام هذا كلامه والله لا يضيعنا فصارت من هنا تسير ، ماهي المصائب التي أتتها يطبق لك الله الآية تطبيق عملي ، كانت في وادي (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ) وادي مخيف مرعب أخوف مكان بالأرض ضع تحتها مئة خط ، الثانية (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) الوادي هذا لم يكن فيه أكل و ما كان فيه أحد يبيع فيه (وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ) ما فيه أي مصدر من مصادر الرزق لا بيع و لا شراء و لا أموال حتى لو معهم أموال لا يوجد مكان يشترون منه (وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ) كانت الأنفس ثلاثة ثم تركهم إبراهيم وذهب فأصبحوا ناقصين(وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون اذهب فوالله لا يضيعنا فانظر ما الذي حدث ، الله سبحانه وتعالى قَلَبَ الأمور كلها ، أما قال الله (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) هو الذي قلب موت الشهيد إلى حياة ؟ انظر ماذا فعل لهم الله سبحانه وتعالى ، هذا المكان الذي كان أخوف مكان على وجه الأرض صار أأمن مكان ، قلبه الله إلى أمن مكان على وجه الأرض ، قال الله (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ)فأصبح أأمن مكان في العالم هو ذاك المكان حتى الحمامة لا تخاف ، والثمرات قال (يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ).

مكان في العالم هو ذاك المكان حتى الحمامة لا تخاف ، والثمرات قال (يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) أصبحت الثمرات في مكة في الصيف وفي الشتاء لا تنقطع الثمرات ، و نقص في الأنفس؟ المكان لم يكن فيه أحد ، الآن ما تجد لك موطئ قدم من كثرة الناس ، سبحانك يا رب تقلب الدنيا كلها! نعم ، كان المتر هناك لا أحد يريده الآن أغلى متر على وجه الأرض كل ما اقتربت من مكان الصفا والمروة ، أريت كيف يفعل الله إذا كان مع الصابرين ،استعن بالصبر والصلاة تجد كيف الله يُقلب أمورك ثق بالله واصبر كما صبرت هاجر يقلب لك الدنيا كلها بأكملها .

(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

عشنا مع نور هذا القرآن العظيم في كيف نتخلص من الأزمات ، لا تحتاج القضية إلى دورات ولا تحتاج إلى كتب نقرأها ، هي القضية أعظم كتاب فيه المخرج فيه حلول لكل المشاكل وهذا هو القرآن يعطيك القضية في آية أو آيتين ثم يعطيك مثال واقعي إما من نبي ، إما من أحد الصالحين ، إما من إحدى الصالحات ، المهم أنك تجد التصريف وتجد واقع عملي ، وقفنا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ثم رأينا كيف إذا كان الله مع الصابر ينقل موت الشهيد إلى حياة ! سبحان الله ، ثم وقفنا مع قول الله (وَلَنَبْلُوَنَّكُم) وذكرنا خمس أنواع من البلاءات : جوع ، خوف ، نقص من أنفس ، من أموال ، من ثمرات ، ثم قلنا أن هذه القضايا إذا هجمت على أي شخص من الأشخاص ثم كانت ردة فعله على حسب الترتيب الذي جاء في القرآن (أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) رضا من الله وصبر وتسليم و استعانة بالله، تقلب الأمور كلها من تعاسة إلى فرح ، من جوع إلى شبع ، من فقر إلى غِنى .

ثم ذكرنا الصفا والمروة وذكرنا كيف أن الله قلب أمر هاجر لما آمنت بالله ، أصابتها المصائب كلها : خوف، جوع، نقص أموال ، أنفس ، ثمرات ، التجأت إلى الله قالت : إذاً لن يضيعنا ، ما أخذت تولول ، ولا تشكو لبشر ، بثّت شكواها كلها لله جل جلاله ، فقلب الله هذا المكان ، خوف (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ) كان الوادي أخوف مكان في الأرض ثم انقلب إلى أأمن مكان (وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) حتى الحمام تأمن فيه ، تطير الحمام وتفزع منك وتخاف في أي مكان إلا في مكة لا تخاف منك . وكل ما اقتربت من الحرم ، كل ما ازداد أمنها (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) ؟ بلى ، إذاً قلب الله الخوف إلى أمن . (وَالْجُوعِ) ! لا أحد يجوع في مكة . تخطئ الآن في أي ركن أو أي واجب من واجبات الحج والعمرة يقال لك : أطعم أهل مكة ، أطعم أهل مكة ، وذبائح لأهل مكة ، ودم لأهل مكة ويطعمون ، فبدّل الله الخوف ..أمن ، والجوع ..شبع . (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) أغلى متر الآن أن تملك عقار في مكة (وَالْأَنفُسِ) أكثر مكان يزوره العالم هو مكة ، ما هذا ! سبحانك يا رب تقلب الأمور بهذه الطريقة ! نعم . (وَالثَّمَرَاتِ) يأتي ثمرات الصيف في الشتاء في مكة ، وثمرات الشتاء تجدها في الصيف في مكة ! شيء عجيب ، هكذا إذا كان الله معك . لكن هل تُحقق الشرط ؟ خذ الوعد ، القرآن كله شروط ووعود (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) ،(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) عليك الأولى وانسى قضية الثانية فهي في يد من لا يخلف الميعاد سبحانه وتعالى . لأجل هذا كانت قضية الصبر قضية عظيمة ، الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً ابتلاه فصبر ، فأعطاه الله عز وجل ميزان غير كل الموازين (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

يقول محمد بن عبدالله "أحد رجالات السلف" خرج مع أمير من الأمراء في رحلة صيد ، يقول بينما نحن نصيد ، وبينما نحن في غاية المتعة حصلت لي حاجة فذهبت لقضائها ، ذهب يبحث عن مكان مغطى في الخلاء حتى يقضي حاجته ، قال فأتيت إلى خَرِبة ، يعني مكان عشّة ، مكان بيت خرِب من خشب . قال فنظرت ، يعني من يعيش في هذا المكان ؟! ، قال فنظرت في هذا المكان فوجدت رجلاً يقول : الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، يقول فنظرت ! رجل مُقعد ، أعمى ، أبرص ، مجذوم ، في حال لا يعلمه إلا الله ! فزِعت ظننته من الجن ، ما هذا الإنسان الذي يعيش في هذا المكان ؟! ، يقول سمعته يردد : الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، يقول قلت له : أنت ، يقول فلم يرد علّي .. الحمد لله ، فقلت : أنت ، يقول فبدأت أرفع صوتي حتى سكت ثم قال : من ؟ ، فقلت له : أنت من أنت ؟ ، فقال : أنا فلان ، أنت من ؟ ، فقلت له : تعال سمعتك تقول الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ! أراك أعمى حتى السمع ثقيل ومجذوم ومقعد وأبرص علامَ فضّلك ؟ ، يعني أنت أحسن مِمن ؟! ، يقول فقال لي : سبحان الله ! ألست أشهد أن لا إله إلا الله ؟ ، قال : نعم ، قال : كم في الوجود من يشرك بالله سبحانه وتعالى ؟ ، قال : كثير ، قال : الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير . قال : ألست أسجد لله عز وجل ؟ ، قال : بلى ، قال : كم في الوجود من يسجد لبقر وحجر وشجر ؟ ، قال : كثير ، قال : الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير ، قال : ألست أسمع ؟، قال : بلى ، قال : كم في الوجود مِن أصم ؟قال : كثير ، قال : الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير ، قال : ألست أتكلم ؟، قال : بلى ، قال : كم في الوجود من أبكم و بُكم ؟ .

قال : كثير ، قال : الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، قال : ألست أذكر الله في الصباح وفي العشي والإبكار ؟ ، قال : بلى ، قال : كم في الوجود من غافل تمر عليه الساعات ولا يذكر فيها من خلقه وشقّ سمعه وبصره ؟ ، قال : كثير ، قال : الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير ، يقول فقلت : سبحان الله والله إنك خير مني ، قال : الحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير ، يقول فقلت له : ألك مِن حاجة ؟ " تريد أن نحضر لك وجبة ، نحضر لك طعام ..شراب ، قال : لا ، ولكن لي ولد هو من تركه الله لي سبحانه " ليس عندي بعد الله إلا هذا الولد " ذهب قبل البارحة ولم يرجع لي فإن أردت أن تطلبه لي " انظر أين ذهب " ، قال فخرجت أبحث لا أدري أذهب يمنة أو يسرة أو شمال أو أمام لا يدري ، يقول فهُمت على وجهي فوجدت تل ، يقول فوجدت الطيور حوله فما إن تعديت ذاك التل إلا وجدت نصف شاب "شاب أكلته السباع " ، يقول أكلته السباع والباقي الطيور تنهش في جسده ، يقول مستحيل أرجع وأقول له الولد الذي بقي لك في هذه الدنيا مات ، يقول فرجعت وهممت أن أذهب إلى قومي وأترك الرجل ، يقول ثم قلت في نفسي أهذا من الدين ! تترك الرجل الذي يخدمه مات ! ماذا تفعل الآن ؟ تتركه يموت ! ، يقول فاستعنت وتحملت على نفسي ثم حملتها عنوةً وذهبت إلى الرجل وتذكرت الأنبياء من قبله كيف ابتلوا ؟ قلت سأقول له الآن عن الأنبياء ، يقول فدخلت وهو على حاله يقول : الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلا ، يقول فقلت : أنت ، قال : نعم ، قال : أنت خير أم نوح ؟ ، قال : سبحان الله ! نوح عليه السلام ، قال : إنه قد فَقدَ ولده على الكفر ، أأنت خير أم إبراهيم ؟ .

قال : سبحان الله ! إبراهيم عليه السلام ، قال فقلت : ما داموا خيراً منك وابتلاهم الله عز وجل بأقرب الناس إليهم فأحتسب أمرك عند الله فإني قد وجدت ولدك قد أكلته السباع ، يقول فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأخذ يكتم عبراته ويقول : الحمد لله .. إنّا لله ، يقول ثم شهق شهقةً فمات ، يقول ولما مات أخذته أقبله وأَلُمهُ وأحتضنه ثم دعوت قومي فغسلناه وكفّناه ولما جئنا نُصلي عليه مرّ بنا ركبٌ من الناس فأول ما رأوا الرجل انكبوا عليه يقبِّلونه ويلثمونه ، يقول فقلت : من هذا ؟ يقول أحسب أنه مقطوع جالس ، قالوا : هذا من يروي حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، هذا أبو قلابة يروي عنه البخاري وغيره ، يقول فقلت : سبحان الله ، والله ما كان هذا ليكون إلا لمعرفته بدين الله عز وجل ، يقول فلم أنسى ذاك الموقف صلينا عليه ودفناه ، يقول فلما مرت جمعة وأنا أفكر بالرجل ، يقول رأيته في منامي كأحسن ما يكون من الصورة ، على صورة لم أرى مثلها قط في حياتي ، رأيت ذاك البرص قد انقلب بياضاً ناصعاً ولونا عجيباً غريبًا ، ورأيته واقفاً بعد أن كان مُقعداً ، ورأيت تلك العينان اللتين تأخذان بالألباب ، يقول ورأيت شكل عجيب ، يقول فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا أبو قلابة ، قلت : ما الذي صيّرك إلى ما أرى ؟ أما كنت مجذوم وكنت معاق وكنت أبرص وأعمى ؟!، قال : نعم ، سمعت قول الله (إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ، سمعت قول الله سبحانه وتعالى (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) .

ما معنى (إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي يأتي سبحانه وتعالى بأهل البلاء الذين عاثت بأجسادهم الأمراض , ومضى فيهم الفقر والجوع والخوف ، بعد هذا كله يُؤتى بهم يوم القيامة فيحاسبون الحسنة بعشر والسيئة بمثلها ثم فجأة تنتهي الأعمال فيثقل الموازين وتُصب فيها صباً ، فيقولون : يا ربِّ هذه الأعمال ما عمِلناها ! ، فيُقال هذه أجر الصبر فُتحت لكم الموازين بغير حساب ، فيأتي أهل الصحة الذي لم يكونوا يعانون مشاكل لا مرض ولا تعب ولا خوف فيأتون يقولون : يا ربِّ هذه أجسادنا لم يأتها سرطان ، ولم يأتها بلاء ولا جذري ولا جُذام ولا برص ، يا رب قطعنا بالمناشير ، انشرنا بالمناشير وقرّضنا بالمقاريض ، فتت هذه العظام واجعل لنا مثل ما لهم فيقول الله سبحانه وتعالى : لا ، أَمَا أني ما ابتليتهم إلا لأعافيهم ، وما أخذت منهم إلا لأعطيهم . اللهم اجعلنا يا رب من الصابرين ، اللهم اجعلنا يا رب عندك من الصادقين ، اللهم اجعلنا ممن إذا أصابتهم مصيبة قالوا (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ثم كتبت لهم صلوات منك ورحمة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

كن أحسن الناس

أحبتي في الله ينظر الله سبحانه وتعالى إلى أرضه الذي خلقها، فيرى اجتماع مجلس الوزراء ، ويرى الرؤساء يجتمعون، ويرى التجار يجتمعون ، ويرى الملوك ، ويرى الفقراء ، ويرى المدراء ، ويرى كل هذه الاجتماعات ؛ثم يحكم حكمه سبحانه في أعظم أهل الأرض يقول سبحانه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) كل هؤلاء الناس يتكلمون والله سبحانه وتعالى يسمع هذا الكلام فيقول جل جلاله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ) يقول أحسن هؤلاء كلاماً هم من يتكلمون ويدلون الناس علي ، وعلى صفاتي ، وعلى تعاملي مع الناس ، وعلى جزائي، ووعدي ووعيدي.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) تدعو إلى الله ، تعمل صالحاً، (وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) أن هناك أناس يقوم بمشروع دعوي فيقول لا تسمونه اسم ديني للإسلام سموه شيء آخر ، لا .. الله عز وجل يقول(أَحْسَنُ قَوْلًا) ثلاث شروط : دعا إلى الله، وعمل صالحا، وقال إنني من المسلمين ، يعني ما جئت أعلمك عادات العرب لا، أنا جئت أعلمك عن الله سبحانه تعالى وديني هو الإسلام ، الله سبحانه وتعالى أعطانا في هذا القرآن نماذج لدعاة دعوا إلى الله سبحانه وتعالى من البشر، ومن غير البشر، قال الله عزوجل عن اقوام ليسوا من البشر لما صد أصحاب محمد صلى لا أعني الصحابة و إنما أقربائه من كفار قريش صدوه في مكة ثم أنطلق إلى الطائف فصدوه وأتبعوه بالحجارة ، فلما هام النبي صلى الله عليه وسلم كما وصف قال: فهِمتُ على وجهي ولم أستفق إلا وأنا في بقرن الثعالب ، فوقف النبي عليه الصلاة والسلام قد أصابه من الحزن ما أصابه لكنه يعرف أن يذهب .

يعلم (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) فجلس النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قام وكبر وصلى في وادي نخلة صلى في ذاك الواديالجو كله ظلام ولا أحد من البشر يسمعه فقام يصلي عليه الصلاة والسلام وبدأ بالفاتحة ثم بدأ يصلي ما الذي حصل؟ حدث أمر يهز الجبال الراسيات، حدث أمر تنصت له الأرض والسموات. أجتمع أقوام غير كفار قريش أكثر من كفار قريش أجتمع أقوام أكثر من أهل الطائف. من هم هؤلاء؟ يقول الله عز وجل (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) قام يصلي عليه الصلاة والسلام ويدعو الله(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)سبحان الله الآن تلقي محاضرة يجتمع الناس بهذا الصف، صف وراء الآخر ، أما هؤلاء اجتمعوا صف فوق صف فوق صف حتى بلغوا عنان السماء، الجن يستمعون ماذا فعل هؤلاء الجن؟ وأنا أخاطب كل من يسمعني الآن من الأنس والجن يقول الله عز وجل يصف لك التفاصيل ، تفاصيل هذه القصة وكأنك تراها وتسمعها صوت وصورة ، يقول الله عز وجل (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ)كل البشر الذين ردوك وطردوك وأذوك قل لهم(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا) ركز حبيبي الغالي فاء الفورية أول ما استمعوا القرآن (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا) ماذا سمعتم! (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا) كلنا سمعنا القرآن انظر كيف وصفوا القرآن وصفوه بكلمة اجتثوها بمعانيها من أعماق قلوبهم كلمة هزة أركانهم قالوا (سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)عجيب يعلمنا من أين أتينا ، وكيف نعيش في الحياة ، وكيف نتصرف إذا جاءتنا الأزمات وكيف نتصرف مع الناس وقولوا للناس حسنا ، ويعلمنا كيف نتصرف إذا جاءنا خبر يبشرنا ، وكيف نشكر الله ، ويعلمنا أن هناك صراط و موت و قبر و جنة و نار ، ويعلمنا أمور كثيرة ، والله إن هذا القرآن عجبا .

هل في مرة سمعت هذا القرآن أو قرأته ثم قلت: لاإله إلا الله ماهذا الكلام ؟ تحصل معنا أحياناً وأنت تصلي في رمضان ثم تأتي أية وتخترق سمعك، وتخترق بصرك ، وتخترق عقلك، ثم تضرب في ذاك القلب ضربة مدوية حتى تخرج وتقول الناس: سمعت ما الذي قرأه الإمام اليوم ؟ ، سمعتم الآية الثالثة؟ لو دخل القرآن لقلبك كله ستقول كما قال الجن(إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) قرآن نزل حتى يغير الناس ، يهدي إلى الرشد وكلنا نقول هذا القرآن يهدي ، لكن ما الذي تغير فينا ، اسأل نفسك اليوم سمعت القرآن وعقلت ، أكتب في ورقة الآن، كم آية غيرت في حياتك ؟! الآن أكتب هذه الآية غيرتني سمعتها وتغيرت ، هؤلاء قالوا (فَآمَنَّا بِهِ)فاء الفورية مباشرة غيروا دينهم من الشرك والكفر والسحر والكهانة والصد عن سبيل الله إلى الإيمان (فَآمَنَّا بِهِ*وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا) مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء والله إنه (جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) ، ثم اسمع في سورة الأحقاف بقلبك حبيب الغالي لا بأذنك قال الله عز وجل (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ) اجتمعوا في الوادي (يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا) يسكت بعضهم بعض هذا الكلام لا يقاطع ، هل حبيبي أدبك مع القرآن بهذه الطريقة أمأنت تسمع القرآن و تكلم بالجوال وأنت تخاصم فلان وتصرخ مع فلان وقابل للمقاطعة (قَالُوا أَنصِتُوا *فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) يعني هم كفار سمعوا القرآن ما ولوا مسلمين كانوا انجاز عظيم، ولا أعظم منها مؤمنين ، كان انجاز أعظم ولا أعظم منها متقين ، ولا محسنين(وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) عرفوا أن هذا القرآن .

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِيَن) (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) ثم جاؤوا عند قومهم وقابلوهم ، تغيرت مبادئهم وتغيرت أفكارهم وتغيرت أهدافهم تغيرت اهتماماتهم قالوا ياقومنا الآن مفاصلة هذا كله من تأثير سماع مرة واحدة في القرآن ، كيف إذا صلوا نفسي ونفسك! مغرب وعشاء وفجر يسمعون آيات تكسر الجبال الراسيات ؟ كيف لو ختموا رمضان! أقل واحد فينا يختم في رمضان هذا فقط من سماع مرة واحدة (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) قالوا يا قومنا كنا نجلس معكم و نتكلم كلام عادي والآن سنكلمكمبكلام أعظم لأننارتقينا (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) حقائق لا يوجد كذب (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِيَن) والله لنحشر أنا وأنت والشياطين (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) والله لتحضر (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) والله لترد والنار تحتك(يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) (إِنَّ الْمُتَّقِيَن فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)إي والله سيكون قالوا (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) قالوا ما الذي تريدونه منا؟ (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) حبيبي الغالي سمعوا القرآن مرة واحدة في حياتهم فمباشرة دعوا إلى ما سمعوا إليه , كم تقرأ من جريدة؟ ثم أول اجتماع مع أصحابك و أقاربك تحضرها تقول للناس ما الذي قرأته في الجريدة ؟ كم ترى من أخبار وأكثرها مزيف وكذب، ثم تأتي وتنقل الأخبار كلها ، كم شائعة تنقل؟ كم نقلت من آية؟ .

هل في مرة حبيبي الغالي تعلمنا الصمد ! وإذا جلسنا بمجلس ، قلنا تعلمون مامعنى الصمد؟ ستفاجئ كما فوجئت أن أكثر الناس لا يعلم معنى الصمد ، يقرأ دون أن يعلم تفسيرها ، ثم شرحت للناس ما معنى الصمد وأنه قد صح الخبر عن سيد البشر جاء النبي عليه الصلاة والسلام عند رجل فسمعه يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: والذي نفس محمد بيده لقد سأل الله هذا باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى و إذا دعا به أجاب , فكم سمعنا ودعونا الله فلندعوا إلى الله من اليوم , أسأل الله أن يجعلني و إياك ممن قال عنهم أحسن الناس قولا دعوا إلى الله وعملوا صالحاً وقالوا إننا من المسلمين .

صغار يدعون إلى الإسلام

الله سبحانه وتعالى في هذا القرآن علمنا أنه يحب من يشارك في هذه الدنيا قبل موته في إنقاذ قوم حتى لو كانت نملة ، تخيل نملة ليس لها حساب وليس عليها عقاب ، يعني ما عاشت على الأرض وماتت ولم تقدم لقومها شيء (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ) لماذا ؟! (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) شاركت و حمت قومها من خطر يمكن يحصل أو لا يحصل ، ومع ذلك قدّر الله لها ذاك الموقف ورفع شأنها بأن ذكرها في كتاب الله سورة كاملة بعنوان [النمل] ،سبحان الله ! هذه النملة خافت على قومها من خطر قد يحصل أو لا يحصل ، ولو حصل ماذا يعني؟! هي قدم بشر!، فحبيبي الغالي كم علمت أنا و أنت عن مخاطر مذكورة في هذا القرآن ستحصل لي ولك ، ثم رأيت فلان يغتاب والله عز وجل يقول (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا) خطر عظيم ، و رأيت من يُرابي ، ليست قضية بشر أو ملك يدعس علينا ؟! لا! القضية قضية اعظم من هذه (فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ) ثم لم تحرك ساكن ، يعني ما أنقذت قومك من أمور ! بل يرى الانسان أخاه وأمه وأباه على أمر سوء يعلم أنه سيذهب بها إذا مات والعياذ بالله على هذا المنكر ! فما يحرك ساكن ، فالله عز وجل إذا كان ذكر نملة بهذا التكريم وهذا التشريف لأنها ساعدت في إنقاذ قومها من خطوة أو وطأة بشر فهل نشارك في إنقاذ قومنا (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)من نار تلظى ، لأجل هذا النبي عليه الصلاة والسلام قيل له (قُمْ فَأَنذِرْ) .

أنذر قومك أنقذهم ، يقول الشيخ المنجد عن رجل يعرفه في المنطقة الشرقية ، هذا الرجل تزوج لا يعرف الصلاة والعياذ بالله ، رجل لا يترك منكر يستطيع فعله إلا فعله هذا بكلامه هو ، فلما تزوج حملت تلك الزوجة انتظر هو و إياها ذاك الجنين ، حملت المرأة فلما وضعته إذ بفرحةٍ تغمر البيت ليس بمثلها فرحة ولكن لما فتح الطفل عينيه ، يتكلم الأب معه ويحاول أن يلاعبه لكن يرى أن الطفل لا يتحرك مع الصوت ! يعني لا يلتفت إذا سمع صوت والده ولا يتضايق من الأصوات ولا يسمع فلما كشفوا عليه وجدو أن هذا الطفل أبكم وأصم لا يسمع أبدا فلما كبر الطفل قليلًا وبدأ يحبو يرى أمه وقد كانت من الصالحات نحسبها والله حسيبها تصلي فيأتي ويصف جنبها ويصلي ويرى الأب لا يصلي ، كبر قليلًا أدخلوه في معهد للصم فبدأ يدرس أن لهذا الكون خالق و أن هذا الخالق سبحانه وتعالى قد شرع خمس صلوات في اليوم هي التي تصليها وتفعلها أمه فلما علم أن جزاء ترك الصلاة النار والعياذ بالله (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)، يحب أباه فخاف عليه لكن لا يستطيع أن يدعوه إلى الله سبحانه وتعالى ، كيف يدعوه ؟ لا يستطيع أن يتكلم ! فصار يأتي عند الأب والأب يتابع التلفاز فيقف بين الأب والتلفاز فيأشر للأب [يقول له الصلاة ويأشر له للأعلى يقصد الله سيسألك لماذا لا تصلي؟] فكان الأب يقول أبعد عن التلفاز وكل مرة على هذا الحال يبعد الابن عن التلفاز ويسكته ، فجاء يوم من الأيام خَرج الابن من المدرسة فجاءت تقدم له أمه الأكل لا يريد يأكل !.

يبكي ويأن ، فتحاول الأم تراضيه و تهدئه فعجزت ، لما جاءت الساعة الثانية و النصف خرج الأب من العمل ، جاء فقالت له انظر لولدك إلى الان لم يأكل أي شيء ، حتى الأكل الذي أخذه للمدرسة لم يأكله فأخاف عليه ، فذهب الأب له فلقيه يأن فحاول يتكلم مع الولد والولد يبعده ، رافض أن يأكل ، يقدمون له الأكل ، يخرج له المال ، وهو يرفض أن يأخذ شيء ، فلما أصر الوالد عليه ماذا تتوقع أن يفعل هذا الطفل؟!! قام الطفل أشار لأبيه انتظر ، ثم رفع أكمامه ثم ذهب وتوضأ وأمسك بالمصحف ، ثم جاء يقلب الصفحات والأب ينظر إليه والأم في دهشه؟! لا يعرفون ماذا يفعل ! ففتح سورة مريم ثم فتح على الآية ثم أعطى المصحف الأب وقال له أقرأ ، يقول الأب فقرأت قول الله عز وجل (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ *إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) و صار الوالد يقرأ ويبكي والابن تنزل تلك الدمعات من عينه ، و أخذ الابن يحضن الأب بقوة على صدره ، فالأب يقول والله كانت تلك اللحظة التي نقلت حياتي من الظلمات بإذن الله إلى النور ، يقول والله أصبحت لا أفوت فرض ، والله أنا الذي كنت أصم وكنت أبكم ، كنت أتكلم عن كل شيء إلا عن الله ، وكنت أسمع كل شيء إلا عن الله يقول فجاءني الله عز وجل بهذا الولد الذي أعطاني درسًا لن أنساه في حياتي ، هذا الطفل لم يبلغ بعد يعني لم يكلف! هذا الطفل قد عذره الله ليس عنده لسان يتكلم به ، هذا الطفل عذره الله لم يسمع قول الله عز وجل ، ولكن لما قرأ فقط بحاسة واحدة قرأ أحس أنه لابد أن ينقذ هذا الوالد ، فهل ترى والدك لا يصلي ماذا فعلت؟! .

هل ترى أخوك لا يصلي ماذا فعلت ؟! أنت حبيبي الغالي يا من أعطاك الله اللسان وشفتين وأعطاك الأذنين و هذه النعم كم مرة تكلمت فيها عن الله عز وجل ! كم مرة استعملتها لله سبحانه وتعالى ! لأجل هذا حبيبي الغالي يقول الله عز وجل (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ) ماذا يفعلون ؟! وظيفتهم في هذه الحياة (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ*وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) حبيبي الغالي هذا اللسان إذا لم ينطق عن الله فعن من ينطق؟! إذا لم يدعو إلى الله فإلى من يدعو ؟! أحد الزملاء معي في المستشفى كثير السفر يقول ذهبت استقدم [خادمة] فلما طلبوا مني ديانتها فقلت مسلمة يقول فأتيت بها ، وكانت لدي رحلة سفر فسافرت ، فلما سافرت جاءني اتصال من زوجتي تقول أن الخادمة ليست مسلمة بل نصرانية رغم أني مشدد عليهم و حرصتهم على أن تكون مسلمة ، فقلت إذا رجعت تفاهمت مع المكتب ، يقول والله إني أعد ٣ أيام و كأنها ٣سنوات أنتظر متى أرجع ، والله إني أغلي على هذا المكتب ، يقول فجأة قالت لي زوجتي الخادمة أسلمت كيف؟!!!

ابنه ١٠سنوات كانت أمه دائمًا تعلمه دعاء الدخول و دعاء الخروج ودعاء الأكل والصلاة فكان إذا جاءت تدخل البيت يقول لها الولد توقفي اقرئي دعاء الدخول , فتقول ما هو دعاء الدخول! فيقول لها قولي {اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا} و إذا جئنا نخرج قال لها قولي {بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله } و إذا جاء وقت الصلاة قال لها لم تصلي !.

فأتو لها بسجادة ، ومرة جلس عندها في المطبخ قال لها قولي (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) قالت ما معنى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ؟! قال قولي (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) قالت (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) قال (اللَّهُ الصَّمَدُ) قالت (اللَّهُ الصَّمَدُ)قال (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) قالت له مامعنى هذا الكلام ؟! هو لا يعرف معنى هذا الكلام ،فرجع لأمه وقال مامعنى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) ؟!! قالت له معناها أن الله سبحانه وتعالى ليس هناك أحد مثله جل جلاله و أن ليس عنده ولد , ولم يولد سبحانه وتعالى وهو خالق كل شيء فذهب الطفل لها يتكلم معها في المطبخ قال لها : يعني أن الله واحد ليس أحد مثله ولا له ولد وهي نصرانية ! طبعا تقول لما أخذوها للمكتب تقول اخترقت هذه الكلمات البسيطة قلبي قالت نعم كيف نزعم أن لله سبحانه تعالى ولد ! وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمد رسول الله ودخلت في الاسلام فصارت تصلي مع المصلين وتصوم مع الصائمين و تحفظ القرآن وتركع وتسجد مع الساجدين ، قلت سبحان الله طفل في عمر ١٠سنوات (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) دخلت بسببه في دين الله ! تقول كل شيء عندي أفعله نفس المسلمين فأسلم فدخل الإسلام قلبها ،كم دخل الاسلام على يدي ويدك ؟! كم قابلت نصراني وكافر ؟! كم ذهبت أعطيت كتيب أو شريط ؟! كل شيء قدمته للدين الله سبحانه سينفعك به ، اللهم اجعلنا من الدعاة إلى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة ومن يجادل بالتي هي أحسن ، اجعلنا نأتي يوم القيامة وفي صحائفنا ملايين من البشر قد اهتدوا على أيدينا يا رب العالمين..

الرحمة

جلست أفكر في رحمة الله سبحانه وتعالى لأني كلما نصحت نفسي ونصحتغيري أو أحد نصحني يأتي الشيطان ويقول الله غفور رحيم انتهت القضية ، قلت لابد أن الله سبحانه وتعالى قد فصّلها في القرآن و كما ذكرنا و سنكُرر ونُعيد إلى أن نموت ونسأل الله الثبات على ذلك أن هذا القرآن فيه تفصيل لكل شيء وقلت في نفسي رحمة الله تعالى لمن ؟ العاصي مثلي يقول الله غفور الرحيم ، والطائع يرجو رحمة الله ، والكافر يرجو رحمة الله ، إذًا رحمة الله لمن ؟ فبدأت اتتبع آيات الله سبحانه وتعالى التي ذكرت فيها الرحمة هل هي لكل أحد ؟! قال الله عز وجل (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيب) قريب مِن مَن ؟ كل الناس يقول يا أخي الله غفور رحيم ، تجده يغتاب فتنصحه يقول الله غفور رحيم ، يسرق ويقول أن الله غفور رحيم ، يزني ويقول أن الله غفور رحيم ، كل شيء عنده أن الله غفور رحيم قال عز وجل (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين) سبحان الله سألت نفسي سؤال صريح هل أنت من المحسنين ؟ من هم المحسنين ؟ المحسن هو الذي يعبد الله كأنه يراه ، تخيل أنت من الذينتحب من قومك وتحترم مثل ما قال النبي عليه الصلاة والسلام {خاف الله كما تخاف رجل وقور في قومك} ما تعصي الله أمامه ،هل أنت من المحسنين ؟ مشكلتنا لما نقرأ قرآن وننتهي من السورة دون أن نتدبر و نراجع أنفسنا ، اسأل نفسك هل أنا من المحسنين؟.

أسال نفسك هل أنا أعبد الله كأني أراه فإن لم أكن أراه فإنه يراني ؟ أسأل الله أن يجعلني وإياكم من المحسنين ، إذا كنت من المحسنين حبيبي الغالي فهنيئًا لك وأبشر رحمة الله قريب من المحسنين ، وقل أن الله غفور رحيم وأنت على خير , كل ما ابتعدت عن الإحسان كلما ابتعدت عنك رحمة الله ، في سورة الاعراف (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) هل دائمًا نكمل الآية التي بعدها أم نقف هنا ؟ (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ *فَسَأَكْتُبُهَا) ما قال اكتب نصفها أو رُبعها ، لا (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ) من هم؟(يَتَّقُونَ) يا رب اجعلنا من المتقين ، سألت نفسي و أجبتها و أنت اسأل نفسك هل أنت من المتقين ؟ تعرف معنى المتقين ؟ المتقي لما سأل عمر رضي الله عنه أبو عبيدة يا أبا عبيدة من هم المتقون ؟قال يا أمير المؤمنين هل سلكت قط طريق فيه شوك ؟ , يعني هل مشيت يوم طريق فيه شوك و أنت حافي , قال نعم ، قال ماذا صنعت هل وطئت الشوك ؟ كلا بل اتقيت فلا أضع قدمي على مكان حتى أعلم أنه ليس به شوك ، فقال وكذلك التقوى أنك لا تضع قدمك في مكان إلا و أنت تعرف أنه هذا يرضي الله أو لا يرضي الله ، لا تلقي نظرة في مكان إلا وأنت تعلم أن هذا يرضي الله أولا, ما تخرج كلمة إلا وأنت تعلم أنها ترضي الله أو لا ، هؤلاء هم المتقون اللهم اجعلنا من المتقين (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ) هذا الصفات اكتب عند كل واحدة صح أو خطأ لأجل تعرف هل هي موجودة فيك أو لا , لأجل تعرف رحمة الله قريبة منك أو لا.

.(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ) لمن يا رب ؟ (لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) تاب يعني ليس شرط أنه معصوم عن الخطأ لكن أتحداك يخطئ ثم ينام ويرتاح والله لا يطمئن ولا يرتاح وينام ، تجده يتقلب يا رب إن لم تغفر لي وترحمني لأكون من الخاسرين ، إذًا هذه الشروط يتوب عليهم الله ويغفر لهم هل نحن منهم ؟ مشكلة أن نكون لسنا منهم و نطمئن ! الحسن البصري كان يقول أن المنافق جمع بين أمرين جمع سوء العمل والطمأنينة ، و المحسن يجمع بين أمرين يحسن العمل ويخاف من الله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) قالت عائشة رضي الله عنها للنبي عليه الصلاة والسلام يا رسول الله هذه الآية نزلت في السُّراق والزُناة قال لا يا بنت الصديق إنها والله نزلت على أقوام يصلون و يصومون ويقومون ويخافون ألّا يُقبل عملهم ، لأجل هذا لما نصلي نقول استغفر الله , وفي الحج (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، فإن هذه الرحمة لمن ؟ يقول الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) هاجروا مع النبي ترك بيته لأجل دينه لأجل رحمة (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ما قدم بيته فقط قدم روحه في سبيل الله ماذا يريد (أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) سبحان الله بعد كل هذه الأعمال يقول الله هذا الذي يحق له يقول الله غفور رحيم .

(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ) يعني يفعل من الدين الواضح و السهل مثل صدقة بريال ليس هناك مشكلة كله ريال ، يقوم لصلاة العصر ! لكن الفجر لا (وَيَقُولُونَ) إذا نصحته لماذا تفعل السهل فقط يقول (سَيُغْفَرُ لَنَا) يقولون يا أخي إن الله غفور الرحيم انتهت القضية (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ*وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ *أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) هؤلاء عرفوا أين رحمة الله ، فاحرص أن تكون من المحسنين و إذا خلوت بمعصية انظر هل أنت من المحسنين أو لا ، تفعلها أو لا تفعلها ، لأجل تعرف رحمة الله قريبة منك أو لا ، والله لن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، وكم فتاة تنمص من حاجبها و تناست لعن الله النامصة و طُردت من رحمة الله ، و المتشبهات بالرجال تناست لعن الله المتشبهات و طُردت من رحمة الله ،أسال الله أن يجعلنا ممن يراجع حساباته ونكون من المحسنين والمتقين والتائبين الصادقين .

كيف تتعامل مع اللّه ؟

أحبتي الفضلاء مازلنا مع نور هذا الكتاب العظيم , يقف أحدنا يسأل نفسه ويقول كيف أنجح مع الله سبحانه وتعالى ؟ كيف أتعامل مع الله ؟ الآن تقام دورات كيف تكسب رئيسك ؟ وكيف تكسب مرؤوسك ،و فن التعامل مع الزوج و فن التعامل مع الزوجة ؟ و والله في هذا الكتاب غنى عن كل هذه الدورات وغنى عن كل هذه الصفقات وهذه الاجتماعات وهذه الدراسات كلها، كيف تتعامل مع الله ؟ أكثرنا فشل في حياته لأنه لا يعرف كيف يتعامل مع الله عز و جل ، يعامل الله سبحانه وتعالى وكأنه يساومه ، يقول لك سأترك هذا الأمر وتعطيني إذا لم تعطيني سأرجع ، ما هذا الكلام ؟!!

كم منا من الناس من تقول له حبيبي الغالي أنت تعمل في مكان ربوي يعني أكلك كله سحت أكلك كله ربا أكلك كله نار ، فيقول لك والله ما وجدت وظيفة ، أعطني وظيفة أخرى وأتركها لله ، لا يا حبيبي لا يا غالي إذا أعطيتك وظيفة أخرى لم تكن تركتها لله ، أنت تركتها للوظيفة الأخرى ، فعندنا مشكلة يا جماعة في علاقتنا مع الله ، كيف نثق بالله سبحانه وتعالى ، لو كانت القضية كل واحد يترك ويعطيه الله سبحانه وتعالى من الغد نبدأ ، الله لا يحتاج يختبرك ، كل الناس كلهم سيتوبون ، لكن الله جعل هذه الامتحانات وهذه المضائق حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب.

لو أقول لشخص الآن خذ هذا المصحف الذي بيدي وأعطه فلان الذي هناك عند تلك الزاوية ، وإذا أعطيته هذا المصحف سيصرخ في وجهك ويقولك توكل على الله هيا ، ثم خذ المصحف وأعطيه الرجل الواقف في تلك الزاوية الأخرى هناك وإذا أعطيته هذا المصحف سيقول لك لا أريد ان أراك هنا مرة أخرى ، ثم خذ المصحف وأعطيه فلان الثالث هناك و سيعطيك شيك بخمسه مليار تخيل والرجل هذا أخذ المصحف وأنتقل للأول ، هو توقع الأول يعطيه خمسة مليار أم يصرخ في وجهه ! تجده يتلذذ بالصراخ عليه ، لأنه يعلم أنه مازال في الطريق الصحيح ثم يذهب للثاني وهو يعطيه المصحف يتلذذ وينتظر متى يطرده لأنه الأن يعلم أنه يسير في الطريق الصحيح , هل نحن نتعامل مع الله القرآن بنفس الطريقة ولله المثل الأعلى ؟ القرآن يعلمك أن الجنة حفت بالمكاره وأن إذا تركت شيء لله سيمتحنك ليرى أنت صادق أم كاذب , أنت واثق في الله عز و جل أم (وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) يقول الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ) كأنه في حافة الجبل يصلي (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ *وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) هذه الآية نزلت في أقوام أسلموا مع النبي عليه الصلاة والسلام فإذا حملت ناقة أحدهم وحملت زوجته قال الحمد لله ، والله منذ أن دخلنا الإسلام ولم نرى إلا خيًرا والأمور كلها طيبة ، ثم يبتلى و تموت عنده ناقة فيترك الدين (انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) تريد أن تراها واقع عملي في القرآن ؟ .

قصص القرآن كما أتفقنا ليست للتسلية وليست لنقضي فيها أوقاتنا ونستمتع فقط (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) موسى عليه السلام يمشي ومعه عصا فيسأله الله عز و جل (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى * قَالَ هِيَ) ما قال عصا ، لأن الذي لا تحبه غالبًا لا تنسبه لك ، يعني مثلًا لو أسألك عن كرتون مناديل في سيارتك أقول لك ما هذا ستقول هذا مناديل ، لكن لما أسألك عن هاتف ستقول هاتفي ، أو ساعة غالية عندك تقول ساعتي فلا شعوريًا تنسبها لنفسك فقال موسى (هِيَ عَصَايَ) ثم أخذ موسى يستطرد ، موسى عليه السلام ليست القضية أنه متلذذ مع كلام الله فقط , لا .. أيضًا يريد أن يقول لله عز و جل وهو الأعلم أن هذه العصا غالية عندي يا رب (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا) يعني في كل خطوة لا أستغنى عنها (وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي) بدل أن أطارد الغنم يمين ويسار فقد اختصرت علي العصا هذه أمور كثيرة ، أشير بالعصا فيجتمع الغنم قال (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) يعني يا ربي لو أكتب فيها مجلدات عن حاجتي في العصا يقول ابن عباس رضي الله عنهما أي كم بلغت بها مالم أبلغ في الشجرة يعني يريد ثمرة يضربها فوق ، وكم دافعت بها عدو , وكم دافعت بها من سبع ، وكم جعلتها حتى أستظل بها وأجعل عليها قماش قال (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) تخيل تقول لشخص ما هذا الذي معك يقول لك هاتفي و لا أستطيع الاستغناء عنه ، استعمله في الدوام و استعمله في بحث القرآن و استعمله في أشياء كثيرة ، ثم تقول له قم برميه ، سيقول لك الآن أقول لك كل هذه الفوائد وتقول لي تخلى عنه !!

الله سبحانه ولله المثل الأعلى الحكيم يريد أن يختبر قلب موسى هل تترك شيء لي حتى وأنت تحبه حتى وأنت مستفيد منه (قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى) أُناس ناجحين عرف كيف يستفيد ، مستحيل تطيع الله ويجعلك تخسر مستحيل ، مستحيل تعصي الله وتنجح ، تُمتع قليلًا نعم كما تمتع فرعون ، مشكلتنا دائمًا لما نرى الأمور في الدنيا فقط ، لا يا أخي أنت ستعيش هنا وهناك فلا تنظر لجناح البعوضة فقط , أنظر لكل حياتك ، موسى عليه السلام مباشرة لما قال الله (أَلْقِهَا) قال الله (فـ) مباشرة ، فألقاها ما دام ترضيك ، هناك أُناس قدموا أرواحهم لله ، قد يقول أحدهم ما دام ترك شيء لله المفروض الله سبحانه وتعالى يقلبها ذهب جزاء لموسى لأنه فعل شيء رائع و أطاع الله , ليس هكذا يعاملنا الله عز وجل ، الله لا يختبرك اختبار واحد ، اختبارين على الأقل وراء بعض وسأذكر لك هذا في القرآن جَلي ، لما ألقى العصا الضعفاء أمثالنا ضعفاء الإيمان إلا من رحم الله يقول خلاص ما دام ترك العمل الربوي لله المفروض يفتح عليه مباشرة ، لا .. ماذا حدث في العصا ؟

الله يعلمنا و يصف لك الناجحين كيف فعلوا لأجل تقتدي بهم , لما ألقى العصا ماذا أصبحت ؟ ذهب ؟ قال (فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ) صارت حية تذهب وتجيء قال الله (تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) تهتز في وجه موسى كأنها جان (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) سبحان الله يعني هذا جزاء موسى ؟ هكذا يختبرك الله تترك عمل لله يأتيك بالذي أعظم منه اختبار لكن سيعطيك عطية تنسيك كل الأمور هذه كلها .

لما جاء موسى عليه السلام والحية تهتز أمامه يعني مثل الذي ترك البنك الربوي ثم جاءه الفقر وطالبوه بإيجار المنزل وقالوا له السيارة متعطلة (تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ) عجيب هذا القرآن (خُذْهَا) سبحان الله يعني يا رب جل جلاك يوم أن كانت عصا يستفيد منها تقول له ألقها يوم أن صارت حية لا يريدها تقول له خذها ما الذي يريد أن يوصله الله لي ولك لو تدبرنا هذا القرآن ؟ موسى ماذا قال ؟ لا لا يا رب والله لا أمسكها ؟ لا .. مباشرة موسى عليه السلام يعلم أنه لن يطيع الله فيخسر فمباشرة مد يده عند رأس الحية ، عندما مد يده عند رأس الحية ماذا حدث قال الله (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ) رجعت العصا كما كانت ، لكن ما الذي حدث بعدها ؟ موسى نجح ، هل تستطيع أن تنجح لآخر المطاف ، يختبرك ثم يختبرك ثم يختبرك وأنت تزيد يقين بالله عز و جل ، هذه العصا هز الله بها عرش فرعون ، هذه العصا فلق الله بها البحر لموسى مع ثلاثمائة ألف من بني إسرائيل (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) أرأيت كيف صارت العصا ، رجعت له العصا وتوكأ عليها ومآرب أخرى وفوق هذا كله تلقف ما صنعوا صارت نصرة له أمام السحرة ونصرة لله أمام فرعون وأمام البحر ، هل تستطيع أن تنجح للنهاية ، هل تستطيع أن الله يختبرك وترضى وتصبر وتطيع الله عز و جل للنهاية ؟ أقسم بالله أنك لن تطيع الله وتخسر وأفتح المصحف و انظر ، كل الذين عصوا الله أتحداك تنتهي السورة ثم يصف الله حالهم وتتمناه ، كل الذين ابتلاهم الله وعذبوا انظر آخر السورة أين هم ؟ هل تتمنى حالهم ؟ اسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن اقتدى و اهتدى بهدي نبيه عليه الصلاة والسلام و اتخذ هذا القرآن قائدًا وسبيلًا وجاهد به جهادًا كبيرًا .

الابتلاء في الدنيا

كم يفشل منّا من لا يهتدي بهدي القرآن ولا يستنير بنور القرآن ؟ ، تجده إذا أصيب بمصيبة تجزّع ونسي القضية وقال هذا و أنا أصلي وغيري لا يصلي وعنده من النعم ، وغيري لا يطيع الله ومتمتع بحياته ، هل هذا فهمك للقرآن ؟ هل هذا الذي وصفه لك القرآن ؟ لو كانت القضية بهذه الصورة والفهم ، كان فرعون عاش يزحف على وجهه بالأرض و كان النبي عليه الصلاة والسلام يعيش ملكًا ، وكان أبو جهل مكان بلال ، وكان بلال مكان أبو لهب ، وكان إبراهيم عليه السلام لم يُلقى في النار بل من يلقي الناس في النار ، كيف يمتحنا الله ؟ يجب أن نفكر بعقل ، كيف يختبرك الله سبحانه وتعالى ! لابد أن يمكن الله للباطل في البداية ويجعل أهل الحق يصيبهم شيء من النقص حتى يبتليك ، أنت إذا أُعطِيت رضيت ، وإذا ابتُليت كفرت ! إذًا أنت لا تصلح أن تكون مؤمن بالأصل ، لهذا الله سبحانه وتعالى يقول عندما تكلم عن الجنة ومن يستحقها قال سبحانه وتعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ) نعم يخاطبني وإياك ، أنت تريد الجنة أم تريد فقط أن تتمتع في الدنيا قليلًا !! (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم) كل أمورهم تسير بشكل جيد تأكلون تشربون تسكنون بأمن وتتنعمون ، لا ! (مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ) ذاق الألم (وَالضَّرَّاءُ) ذاق الظلم (وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ) يا الله إذا كان البلاء وصل حتى يقول الرسول هذا الكلام فلا تسأل عن من دون الرسول في إيمانهم .

(حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ) متى تنتهي الآلام ويزول هذا الظلم ويرتفع هذا الغم (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) سبحان الله , لأجل هذا حبيبي الغالي وأختي الغالية في نفس الوقت الذي كان يعاني فيه النبي عليه الصلاة والسلام كان يقهقه أبو جهل وأبو لهب ، يوضح لك كيف يبين المنافقين ! هنا يظهر المنافقون (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) هذه من حِكم البلاء ، حكمة البلاء أنه يظهر الصادق من الكاذب ، لهذا (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) المنافقين نظرتهم مختلفة عن المؤمنين ، نفس الحدث والناس جميعًا في ظاهرهم مؤمنين ويحبون الله والرسول وليس لديهم أي مشكلة ، لكن متى يظهر الصدق من الكذب إذا جاء هذا البلاء (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ) أنا وإياك من الناس (أَن يُتْرَكُوا) لن نترك (أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) بما أننا قلنا آمنا والله سنُفتن ، وسيأتيك أمر يظهر الله ما في قلبك ، هل الله سبحانه وتعالى في قلبك هو المدبر هو سبحانه المعطي المانع النافع الضار الخافض الرافع المعين الميسر ، أو تذهب تبحث لك عن ساحر وتكفر بدين الله لأنه يمكن يساعدك ثم تذهب لجهنم ، فيجب أن يأتيك هذا البلاء(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ *فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا) أي هو سيدبر أموره بنفسه ويعيش ويسبقنا للخيرات بالدنيا و سيذهب للجنة في الآخرة ! (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) الواثق بالله سبحانه وتعالى والله سيؤتيه الله ما ظنّ فيه ، أنا عند ظني عبدي بي فليظن بي ما يشاء.

يشاء (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) ، أهمس في أذن كل من ظن أن إذا كانت فلانة تعصي والله سبحانه وتعالى معطيها ، ماذا أعطاها ؟ حرمها ألذ و أعظم نعمة ، نعمة الإسلام ، نعمة الطاعة ، نعمة الهداية، جاء رجل عند موسى عليه السلام وقال يا موسى أنت تقول أن الله يعطي ويفتح على من يطيعه وأن الله يضيق على من عصاه وهذا أنا أعصي الله عز و جل ليلًا نهاراً , سراً و جهاراً ، وانظر لي أعيش وآكل و أضحك ، وقبل أن يرد عليه موسى أوحى الله إلى موسى قال يا موسى إني قد سلبته لذة مناجاتي ، حرمته أعظم نعمة ، ومن حرم هذه النعمة حرم كل شيء (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) ماهي هذه النعمة ؟ نعمة الهداية ، فإذا غيرك حرم نعمة الهداية معناها إلى أين سيذهب ؟؟، مشكلتنا دائماً النظر ليس إلى نصف الموضوع بل عُشر ، أنت تعيش هنا قليلًا ستعيش تحت الأرض طويلًا وستعيش يوم العرض ٥٠٠٠٠ سنة وبعدها خلود ، عندما تحسب جزئية حياتك فوق الأرض ٧٠ أو ١٠٠ سنة وكم ستجلس تحت الأرض إلى أن تقوم الساعة ؟؟، مشكلتنا دائماً النظر ليس إلى نصف الموضوع بل عُشر ، أنت تعيش هنا قليلًا ستعيش تحت الأرض طويلًا وستعيش يوم العرض ٥٠٠٠٠ سنة وبعدها خلود ، عندما تحسب جزئية حياتك فوق الأرض ٧٠ أو ١٠٠ سنة وكم ستجلس تحت الأرض إلى أن تقوم الساعة ؟؟ لأجل هذا الله سبحانه وتعالى يقول (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ) إذا كنت مؤمن بهذا الكتاب (إِلَّا قَلِيلٌ) احسبها هنا قليل ، آلاف السنين تحت الأرض وآلاف السنين يوم العرض وآلاف السنين بعد أن تتجاوز الصراط .

فمشكلتنا نرى فلان يتعامل بالربا و سعيد في حياته يسافر و يفعل ما يحلو له ، لكن أين سيذهب في الآخرة! كم سيعذب بهذه الأموال في الآخرة ! كم ستُقطع هذه الأشلاء في الآخرة ! هذا الرجل عنده إذن بحرب من الله ورسوله فهذا الرجل أين سيذهب ؟ الشيطان يجعلنا نركز فقط على جناح البعوضة هنا ، لأجل هذا الله سبحانه تعالى لما قال عن هذا الكتاب (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ *فِيهِ *هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) لذلك الله سبحانه وتعالى يقول حتى يبين لنا أن القضية لا تحسب بعين عوراء لا ترى ، وانظر إلى فرعون (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) والآن أين هو فرعون؟ (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) .

أحد الصحابة إذا جاء وقت الغدو في النهار بكى قالوا له لماذا؟ قال الآن يعرض آل فرعون على النار الآن تشوى وجوههم وإذا جاء وقت العشي بكى قالوا ما يبكيك؟ قال الآن يعرض آل فرعون على النار ، قال الله عز وجل (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ، لماذا موسى لم يقل أنا الذي أعبد الله أتعذب وهذا الذي يكفر به يعيش بنعيم ما هذه الحياة ! لا ، لأنه يعلم أن هذه حقيقة الاختبار ، أن يختبرك الله ، لهذا الله سبحانه وتعالى يفصل هذا الكلام في كتابه قائلًا جل في علاه (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ) تريد كل شيء هنا وهي مقياسك التي ترضى فيه على الله أو تسخط فيه على الله! (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ) منذ أن يصبح إلى أن يمسي يرضى للدنيا و يحزن للدنيا، كل حياته للدنيا (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ) وماذا بعد ؟.

ما هو باقي المشهد (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) والله لو تقول لشخص تعال أُنَعِمَك وأعطيك قصور الدنيا وسيارات الدنيا ونساء الدنيا وأزياء وملابس الدنيا وبعد ٦٦ سنة لي معك موعد أحضرك عند زيت حامي وأغمس وجهك في الزيت وأقوم بالعد إلى ١٠ فقط ، والله العظيم لا يوافق ، إذا أيقن أنك ستصنعها والله لا يوافق حتى لو ١٠ ثواني ، من أجل هذا قال عليه الصلاة والسلام "يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا" واحد ما اشتكى أو بكى أو ظُلم ، كان يعيش في عز ونعيم ومال ورفاهية "يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول اصبغوه فيها صبغة فيقول : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ، قرة عين قط ؟ فيقول : لا وعزتك ما رأيت خيراً قط ، ولا قرة عين قط " بغمسة واحدة ! إلى الآن لم يسقى من الحميم ويأكل من الزقوم ، يقول النبي عليه السلام: "لو أنَّ قطرةً منَ الزَّقُّومِ قُطِرتْ في دارِ الدنيا لأفسدتْ على أهلِ الدنيا معايِشَهم، فكيفَ بمنْ يكونُ طعامُهُ" و قال : "ويؤتى بأشدِّ النَّاسِ كانَ بلاءً وضُرا وجَهدًا فيقولُ اصبُغوهُ صبغةً في الجنَّةِ فيصبغُ فيها " لم يتنعم في قصورها و حورها غمسة واحدة فقط " ثمَّ يؤتى بِهِ فيقولُ يابنَ آدمَ هل رأيتَ بؤسًا قطُّ أو شيئًا تَكرَهُهُ فيقولُ: لا وعزَّتِكَ ما رأيتُ شيئًا أَكرَهُهُ" سبحان الله بغمسة فكيف إذا خُلّد مع الخالدين في جنات النعيم .

كيف يحكم الناس على بعضهم ؟

الله سبحانه وتعالى يقول (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّه) يحكم الناس على بعضهم على منصبه ، على أي مرتبة ، ما هي سيارته ، كم عنده في البنك ؟ سبحان الله! القرآن علمنا أنها لا تُقاس الأمور بهذه الطريقة ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام (لو كانت الدنيا) كل الدنيا بقصورها بمناظرها ببساتينها بمزارعها (تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء) والله يموت أن الكفار كلهم جوعًا وعطشًا لا يجدون شربة ماء ، لكنها لا تساوي شيء! يعني لو أنا الآن يسقط منّي منديل ! لا أأبه فيه ، يأخذه عدوي لا أقول أعطني منديلي أقول أصلًا لا يساوي عندي شيء ولله المثل الأعلى .

في البخاري كان النبي عليه الصلاة والسلام جالسًا مع أصحابه ، فـمرّ رجل فقال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه: ما تقولون في هذا ؟ فقالوا : يا رسول الله هذا فلان ابن فلان ! حريٌّ إن تكلم أن يُسمع ، وإن شفع أن يُشفّع وإن نكح أن يُزوّج ، سكت النبي عليه الصلاة والسلام ، مرّ رجل خارج من بيته ، فـالتفت النبي عليه الصلاة والسلام إلى الصحابة فقال : وهذا ؟ فقالوا : يا رسول الله! هذا فلان بن فلان صعلوك من الصعاليك ، حريٌّ إن تكلم أن لا يُسمع ، وإن شفع لا يُشفّع , وإن نكح أن لا يُزوّج , سبحان الله ! .

النبي عليه الصلاة والسلام جاءه وحي من السماء بتفصيل الأمور ، بالقول الفصل ، بالحق فـأقسم النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه فقال (والذي نفس محمد بيده لهذا) الذي أنتم تستحقرونه (والذي نفس محمد بيده لهذا يساوي عند الله ملء الأرض من ذاك)، يقول ؛ إإتي بالكرة الأرضية كلها أوروبا و أمريكا وأفريقيا وآسيا واجمعها كلها ، عبئه من الناس مثل هذا ، واجعلهم كلهم يقولون يا رب ، و إإتي بموازينهم كلهم في ميزان والله لا يساوون عند الله واحد من ذاك ، سبحان الله ! هكذا تُقاس الأمور بهذا الميزان في القرآن قال الله (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) مشكلتنا أين ؟ دائمًا مشكلة من عنده مصيبة في دينه إنه يحكم بعين عوراء ، لِأجل هذا يقول الله سبحانه وتعالى (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ) فعل في يوم من الأيام صدقة ، لا يجعل الله أجرها في الأخرة لا ، تصفيه توفِية حسابات هنا ، يعطيه زيادة في صحته ، كان المفروض يُتعبه رأسه يُشفيه الله سبحانه وتعالى ، سيعطيه كلها في جناح البعوضة ، (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) في الدنيا (وَهُمْ فِيهَا) في الدنيا (لَا يُبْخَسُونَ) لأجل هذا الكفار تجد عندهم أجواء جميلة ، لأنهم يعملون أعمال صالحة ، وأمورهم طيبة والنظام عندهم رائع (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) هل انتهى المشهد؟ لا (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ،وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سبحان الله ! إذًا ؛ إذا وفّاك الله حسابك كله في الدنيا و كل شيء أعطاك اياه بالدنيا فليس من صالحك , لأجل هذا ممكن الطائع يُؤخذ منه هنا ، إذا أحب الله عبد ابتلاه ، يُبتلى المرء على قدر دينه ، لماذا ؟ ماذا يريد الله منك؟ (مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ*وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) لكن هي فلسفة الحياة يجب نفهمها من خلال القرآن.

نعم يبتليك لأنه يحبك سيأخذ منك كل ما فعلته من الذنوب في هذه الدنيا لأجل ما تأتي يوم القيامة ويأخذ منك غمسة في النار ، تأتي مصفّاه حساباتك فـتكون مع الخالدين في ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ، فـمشكلة من حساباتهم خطأ قال الله عز وجل (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ) ما بهم يا رب ؟ (يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) يريدون كل شيء هنا (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) يومًا ثقيلًا ! يا أخي ألم ساعة بدون مسكن! تقول الساعة هذه ثقيلة علي كأنها سنة لا تنساها في حياتك ، إذًا كيف إذا قال الله واصف ذلك اليوم أنه ثقيل ، لماذا صار ثقيل؟ لأن كل أمر فعله من السوء محسوب هناك ، وكل أمر خير له أعطاه هنا ، فـإذًا حبيبي الغالي ؛ هذا القرآن كالبلسم الشافي لتلك الجراح ، إذا رأيت غيرك يعصي الله وهو يضحك لا تحسده ، لا تغبطه ، قال الله عز وجل (نُّمَتِّعُهُمْ) من أحسن حساب أنت أم الله ؟ الله قال (نُّمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا) لأن بعض الناس يقول فلان طول حياته ، حسنًا -طول حياته- قليلًا أم كثيرًا؟ قال الله سبحانه وتعالى (فَلْيَضْحَكُوا) ولاحظ ما قال فليسعدوا ، ليس هناك سعادة إلا بطاعة الله , سعادة من الداخل والله لا تجدها إلا عند الله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ) يحلف الله سبحانه ، الله لا يحتاج أن يقسم لأجل أن نصدقه (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

السعادة الحياة الطيبة لا تأتي في معاصي ، لأجل هذا سمّاها الله ضحك ، ضحك من فوق لكن من القلب لا ، قال الله (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) الحسابات هذه قليلًا إذًا والله إنها قليلًا ، تريد أنت الكثير ، تريد السعادة الحقيقية؟ هي عند رب العالمين ، قال الله عز و جل (كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ) الذين عصوا (وَهَٰؤُلَاءِ) الذين أطاعوا (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ*وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ماذا قال بعدها ؟.

(انظُرْ) وأنت في الشارع انظر للقصور على يمينك و البيوت الصغيرة على يسارك (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ*وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ) لأن الذي هنا في الدنيا كله قليل ، كله متاع (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) .

الإمام مالك رحمه الله كان ممن يلبس وهندامه جميل (والله جميل يحب الجمال) فكان يلبس أحسن الملابس ، قيل عنده ثلاث مئة قُلنسوه ، رجل يلبس ولا يتعارض هذا مع الدين ، المال والدنيا في يديه ليست في قلبه ، فـجاء عنده يهودي زيّات ، متبهذل وثيابه كلها زيت ، فقال يا إمام أنتم تقولون أيها المسلمون أن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن ! وهذا أنت يا إمام مالك مؤمن و تعيش في نعيم ! تلبس مثل الناس وتأكل مثل الناس ، أين السجن ! فقال له الإمام مالك كلمات تكتب بماء الذهب قال نعم ، أنت على كفرك إن مت على هذا الكفر فـدخلت النار تعتبر في جنة الآن ، وأنا إن كنت مؤمن ومت على ذلك فـدخلت الجنة أعتبر في سجن الآن ، لأن المتاع الذي هناك يختلف عن الذي هنا ، لـموضع صوط أحدكم خير من الدنيا وما فيها ، فـأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا نستنير بنور القرءان ، ونهتدي بهدي النبي العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الاختلاط وقيمة الحياء

اتفقنا في البداية أننا نستنير بنور هذا الكتاب العظيم (القرآن) ، وأن تكون حياتنا بدلًا من الظلمات نعيشها في النور وما أعظم نور القرآن ، إذ لا نور أعظم في الأرض من نور هذا الكتاب (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) يتخبّط المتخبطون ويتكلم المتكلمون ويحلل المحللون ويقولون في قضية الاختلاط أن الاختلاط جائز وأن الأمر هيّن وأن القضية لا يوجد بها تعقيد ، أخ وأخته زميل و زميلة مثل الإخوة !!

تعالوا نرى ذكر الله سبحانه وتعالى الذي فصّل في هذا الكتاب (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) ماذا ذكر الله عن القضية ، هل فصّل أنها حلال أم أنها حرام ؟ ، قال سبحانه جلّ في علاه (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا) القضية كم تأخذ ليست قضية ثمان ساعات أو اثنا عشرة ساعة قضية متاعاً بمعنى سؤال ، بمعنى أعطني خذ (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا) اختلط معها و اسألها ؟ لا (فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) لابد من فاصل بينك وبينها لا تختلط معها أبداً ، ما هذا التفصيل العجيب في كتاب الله عزّ وجل !

طبعاً يوجد أقوام لا يريدون هذا الكلام (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ*قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ*قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي*أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ*إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) اذاً الله لم ينزّل القرآن لنضعه جانباً ونأتي بأقوال توافق أهوائكم ، هل هذه الآية الوحيدة التي جاءت في منع الاختلاط ؟ .

لا،قال الله عزّ وجل عندما ذكر موسى عليه السلام وهو داخل في تلك القرية دخل مدين (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) رأى رجال يسّقون ويحركون الأحجار عن البئر ويستخرجون الماء لأنعامهم ودوابهم وعندما التفت (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ) ليسوا معهم (مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) استغرب موسى عليه السلام جميع من أتى بدوابه ليسقيها هاتان الفتاتان تذودان أغنامهما حتى لا يسقي الأنعام قال حتى الأنعام و الغنم تلحس الثرى الرطب من شدة الجوع وهي ترى الأغنام التي مع الرجال تسقي والمرأة تذود من هنا وأختها تذود من هناك ، قال سبحانه (وَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) توجه موسى عليه السلام (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا) مشهد عجيب أنتم أتيتم تسقون أم تذودون الأغنام ! (قَالَتَا لَا) لا ماذا! كلمة قوية (قَالَتَا لَا نَسْقِي) إذاً ماذا ؟ لماذا خرجتم ، نعم هدف الخروج السقاية لكن مستحيل نحقق هذا الهدف الهدف (حتى) حرف غاية بمعنى إذا لم يتحقق الشرط هذا لا نسقي انظر العزة انظر الهدف انظر القيم (نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) والله مستحيل نخالط الرجال ، إذا صدر الرعاء وتركوا المكان نأتي أمّا نخالطهم لنسقي ؟ لا نسقي ، إذا لديكم هذا الحياء و القيم و قيمة عدم الاختلاط مع الأجانب ، لماذا خرجتم؟ (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) بمعنى لو عندنا رجل يقوم بهذه المهمة للتفتنا إلى مهامنا التي خلقنا الله لأجلها ، لم يخلقنا لهذه المعناة أناطح الرجال ، رأيت المبدأ ؟ لا نسقي حتى يُصدر الرعاء لو لم يصدر الرعاء ؟ ؟ لا نسقي ، هل هذه القيمة عند المؤمنات الغاليات ؟ .

هل هذه القيمة التي يُريدها أعداء الدين ممن ينتسبون للإسلام أو غيرهم ، لأن الله سبحانه وتعالى قال إن هذا الكلام لا يروق لكثير من الناس ، قال الله عز وجل (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) أن تتبع ما قاله الله سبحانه وتعالى ليتوب عليك و يدخلك الجنة , قال الله (و يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ) ماذا يريدون ؟ (أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) سبحان الله ، لأجل هذا هم لا يروق لهم أن تقول لهم قال الله وقال الرسول عليه الصلاة و السلام ، قال الله عز وجل (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ) الله يقول اسألوهن من وراء حجاب ، فافصلوا المستشفيات الرجال عن النساء قال لك لا ، أنت مسلم ؟ يقول لك نعم مسلم ، ما هو كتابك ؟ القرآن ، ومن نبيك ؟ محمد صلى الله عليه وسلم لكن لا نتبعه ، سبحان الله ! (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ) ماذا رأيتهم ؟ (يَصُدُّونَ صُدُودًا) يكتب في الجرائد ويبدأ يعاديك يكنّ لك العداء المر ويكتب بلسانه وبقلمه ما يبقى (سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) سبحان الله ، أنا لم أقل لك تعال للإنجيل أو التوراة أنا أقول لك وأنت تكتب واسمك عبدالله و عبدالعزيز كاتب في الجريدة أنا أقول لك أعبد العزيز ، أنا أتكلم من كتاب العزيز ، تعال إلى ما أنزل الله وما أنزل الرسول ، النبي عليه الصلاة و السلام كان يقول في صحيح مسلم وفي غيره يقول "خير صفوف الرجال أولها" سبحان الله ، لماذا ؟ لأنهم أتو مبكراً ؟ الموضوع أكبر من إنك أتيت مبكراً ، الموضوع لا يتكلم عن التبكير في الصلاة ، لا الموضوع يتكلم عن قيمه أعظم ، ماهي القيمة ؟ خير صفوف الرجال أولها لاحظ الكلمة التي بعدها قال وشّرها ، سبحان الله داخل المسجد يوجد شر !.

و شّرها آخرها ، وخير صفوف النساء ، لو كانت القضية تبكير للصلاة كان قال أولها ، قال وخير صفوف النساء آخرها و شُّرها أولها لماذا ؟ الآن لا يوجد اختلاط أساساً الصف ليس بعده صف النساء مباشرة لا ، صف النساء بعيد عن الرجال ، حتى مساجدنا الآن مكان النساء غير مكان الرجال ، يظل خيرها آخرها لماذا؟ لأن كل ما اقترب النساء من الرجال مع العلم أنهم ليسوا متواجهين أمام بعضهم بمعنى أن الرجال ليسوا بوجه النساء ويتكلمون مع بعضهم مثل ما يحصل من التفاهات في المستشفيات اليوم و في الأماكن المختلطة ، تجد يتكلمون مع بعضهم ويضحكون وكأنه زوجه و زوجها لا حياء والله ، هي لا ترى إلا ظهور وعمائم من الخلف و رؤوس ولا أحد يكلم الثاني ومع ذلك كل ما اقترب الرجال من المرأة كل ما زاد تسلط الشياطين عليهم ، يكح الرجل تبدأ المرأة تسمع صوته إذا كحت المرأة الرجل يضيع في الصلاة و نجدها عجوز عمرها ثمانين سنه سبحان الله كل هذا لماذا ؟ قال النبي عليه الصلاة و السلام في صحيح البخاري "إذا أخطأ الإمام " بمعنى بدل من أن يركع سجد أو قام الركعة رابعة وهو في المغرب أو قال آية خطأ فليفتح عليه الرجال , حسنًا يوجد نساء حافظات لا ، لا تفتح عليه لا تقول له ، يرد الرجال لماذا ؟ سبحان الله كل هذا لأن الله يعلم أن القلوب تتأثر وبعد ما تتأثر القلوب تفسد العبادات وتبدأ علاقات محرمة و يضيع الدين ، النساء ماذا يفعلون ؟.

قال "والنساء تصفق" و لا تقول سبحان الله مع أنها لا تقول يا عمري الآية غلط أو عفوًا لا ، ستقول سبحان الله أو تصحح الآية ومع هذا حرم الله سبحانه هذا ، النبي عليه الصلاة و السلام إذا انتهوا من الصلاة جاء أحد من الصحابة يريد أن يقوم يقول له اجلس حتى يخرج النساء أولًا ثم تخرج ، هذا ليس في مكاتب أو في بنوك أو في مستشفيات في مسجد يعني بيت من بيوت الله لا يُقال فيه إلا تسبيح أو تهليل فهل بعد هذا البيان بيان ؟ يخطب النبي عليه الصلاة والسلام للرجال في يوم العيد ثم ينتقل في مكان آخر وهم أطهر قلوب في العالم ، لو كان الاختلاط حلال كان جمعهم ، بل كان يخطب لهؤلاء خطبة خاصه و لهؤلاء خطبة خاصة.

فمتى تفصل المستشفيات حتى لا يكون لدينا حالات الجرائم والزنا و أولاد الزنا و المغتصبات في كل مكان كما في أمريكا في كل ٨٢ ثانية تغتصب امرأه في أمريكا ، تقولون العالم يعيشون ليس لديهم مشاكل لا والله عندهم مصائب و مشاكل ، أسأل الله أن يطهر الأمة من كل منافق وناعق من كل مخالف لكتاب الله سبحانه وأن يهدينا و إياكم سبل الرشاد وأن يجعلنا و إياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

هل لك حاجة ؟!

الله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن وقال عنه أنه شفاء وقال فيه شفاء وقال (وَنُنَزِّل مِنْ الْقُرْآن مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَة لِلْمُؤْمِنِيَن) وقال سبحانه وتعالى عن هذا الكتاب (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيَن) ويقول سبحانه وتعالى(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) ما قال الله دواء ! الدواء الذي في المستشفى تأخذه ، علاجات ، مضادات ، قابضات ، موسّعات للشُعب ، موسّعات للشرايين ، كل هذه دواء اسمها لكن هذا القرآن شفاء ، كل دواء ممكن ينفع وممكن لا ينفع لكن هذا القرآن اسمه شفاء يعني والله سينفع ! والله سينفع ! المشكلة أين ؟ فينا نحن ، الله سبحانه وتعالى لما قال هذا شفاء إذًا والله فهو شفاء للأمراض ليس فقط الروحية أمراض العين والحسد والسحر لا ! بل حتى الأمراض العضوية ، أمراض الدماغ ، أمراض القلب ، أمراض الضغط ، أمراض السكر ، كل مرض , ما الدليل على أن هذا القرآن شفاء حتى في الأمراض العضوية ؟ في صحيح مسلم لما مرّ الصحابة ومعهم أبي سعيد الخدري رضي الله عنه على قوم من الأعراب ملدوغ زعيمهم لُدغ زعيمهم وبدأ السم يفري في الجسد وبدأ السم يصل إلى العروق والخلايا وإلى الأنسجة وإلى أعضاء الجسم فكاد أن يموت فقالوا هل معكم من راقي ؟ فجاء أبو سعيد , لما استضافوهم القوم فقالوا أطعِمونا فأبوا قالوا هل معكم من راقي ؟ .

قالوا نعم فجاء أبو سعيد وقرأ عليه بالفاتحة ،فاتحة الكتاب ، أمّ الكتاب،لكن يعرف ماذا يقول ، يعرف ماذا يقرأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) إذ بذاك السم يتضاءل و إذ به يزول تمامًا من الجسد وتصفو الدماء والعروق والأنسجة والخلايا ثم يقوم كأنما نَشِط من عِقال , يقول له النبي عليه الصلاة والسلام ماذا قرأت عليه ؟ قال قرأت عليه الفاتحة ، قال وما أدراك أنها رقية ! ، لكن في موضوع أهم من هذا وأنا أواجهه في المستشفى كثيًرا ، يأتيك مريض أو ولد مريض أو والد مريض ثم يأتيك بمشاعر يكاد أن يتقطع وهو معك ، والله يكاد أن يخرج قلبه على يديه وعلى أكفّه وهو يعبر عن معاناته ، فكل ما جاءني أحد قلت له تعال بيني وبينك كتاب الله عز وجل " طبعا يأتون تكفى يا شيخ اقرأ عليه ، سبحان الله أول سؤال أسألهم بيني وبينكم كتاب الله عز وجل هل قرأتم عليه ؟

٩٩٪ يقولون لا ، والله يا شيخ في شيخ سيأتي إن شاء الله أو في شيخ تكلمنا معه وجاء وقرأ عليه مرة وقال فيه عين قوية ، أنا أقول أنتم قرأتهم عليه ؟ أنت يا من قلبك متقطع عليه الآن وحزين على مريضك هل قرأت عليه ؟ أكثرهم يقولون لا ، وأكثرهم يقول والله قرأنا لكن هناك فرق ! فرق ماذا ! فرق بيننا وبين المشايخ ! سبحان الله أقول لهم بيني وبينكم كتاب الله عز وجل إما تقنعني أو أقنعك ، الله سبحانه وتعالى في هذا الكتاب هل قال لك إنِ احتجت أو مرضت أو مرض لك قريب تنادي أحد ؟ يقول لا ، يقول الله عز وجل (أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) يثبّت الأرض كلها من هو ؟ (وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا) يعني يجري ما يشاء جلطات ، لا يفك في الدم عِرق صغير ! .

بل يفك في الأرض الجامدة يشق فيها نهر ويجري هذا النهر(أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) ثبّتها بالجبال (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) إذا يقدر سبحانه يجعل بين البحرين حاجز هذا مالح وهذا عذب بينهم متر فيقدر يفصل بينك وبين مرضك (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا*أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ*بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)أقول له من يُجيب الله ؟ أنا وقفت أقرأ على مريضك وأنت وقفت تقرأ على مريضك و أتينا بـ٧٠ ألف شيخ على اليمين وأنت على اليسار ، أنت المضطر و٧٠ ألف غير مضطرين ، الله عز وجل طلب شرطين فقط ليكشف عنك السوء أياً كان ذاك السوء ، قال الله شرطين فقط عجزنا تحقيق الشرطين ! لأجل هذا أمراضنا تطول وهمومنا تطول قال الله (أَمَّن يُجِيبُ) هل الشيخ ؟ الراقي ؟ القارئ ؟ العلّامة ؟ العالم ؟ الداعية ؟ أم المضطر ؟ يقول لك المضطر تقول له المضطر أنا أو أنت ؟ يقول أنا , هذه ٥٠٪ من الشروط متحققة فيك ليس فيني ، "المضطر"إذا ماذا ؟ إذا جاء أحد وقال له تعال اقرأ علّي ؟ أو "إذا دعاه" ؟ أرأيتم كيف يخسرنا الشيطان إذا ما اتبعنا هذا القرآن ؟ الشرط الأول هو المضطر ، هذه لا يستطيع أن يلعب فيها إبليس ، الشيطان لا يستطيع أن يقول لك لا أنت لست مضطر ! لا والله ولدي متقطع من الألم أكيد أنه مضطر ، فما الذي يلعب فيه الشيطان ؟ يلعب في الشرط الثاني إذا دعاه ، فيذهب يقول لك هات فلان يدعي لك ، فلان يقرأ عليك ، لا !! الله سبحانه طلب مني أنا المضطر أدعوه و أكمل الـ ١٠٠٪ ليحصل عندي آخر الآية ! ألم نقل القرآن شرط و وعد ؟ حقق الشرط يعطيك الله الوعد ، لكن لا تحقق نصف الشرط فقط قال الله (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) سرطان ، أورام ، ابتلاءات ، كلها يكشفها سبحانه وتعالى لكن متى ؟ .

عندنا مشكلة إنه شخص مضطر لا يدعي ولا يقرأ يحضر له شخص غير مضطر يقرأ فصار كل واحد منهم لم يحقق ال٢روط التي طلبها الله سبحانه قال الله عز وجل(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) قريب ! هذه ما تتغير (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ) ما قال أُجيب دعوة الذي ما دعا ! عندنا شخص مريض لا يدعو يريد أحد يدعي له (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ) متى ؟ إذا أتى بأحد ؟ لا (إِذَا دَعَانِ) ما المطلوب مني حتى يستجيب الله لي ؟ (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) راجع حساباتك !كم أمر قال لك الله ما استجبت له ؟ لو أقول لك حبيبي أعطني القلم الذي معك تقول لا ! بالله أعطني الماء تقول لا ! أعطني الدفتر تقول لا ! ثم تقول لي أعطني المصحف ممكن أقول لا ! أنت ما استجبت لي ولله المثل الأعلى ، قال الله (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)فهل عرفنا أين المشكلة معنا ؟ واحد مضطر لا يدعو وواحد يدعو وليس مضطر،هذه يا جماعة التي جعلتنا نخسر كثيًرا في حياتنا ، إن الشرط في القرآن لازم يتحقق حتى تأخذ الوعد إذا ما حقق الشرط لا تنتظر الوعد فهل فهمنا هذا الدرس ؟ أحد الإخوة سمع هذا الكلام وسمع هذا النقاش وقال اقتنعنا ، وبعض الناس والله لا يسمع يقول لك أعتذر والله أنا أعلم لكن أرجوك تعال اقرأ عليه ، يعني ما استفدنا ؟؟،وشخص من الإخوة الذين استفادوا انطبق عليه قول الله عز وجل (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) كان عنده ورم في الظهر والله يا جماعة يقول كررت عليه (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) يقول فقلت يا رب هذه الجبال تنسف بقدرتك فكيف ورم صغير لا ينسف !.

يقول وكررت قول الله عز وجل (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) يقول والله العظيم تركت الناس كلهم و أصبحت أقرأ في زيت وأدهن وأقرأ في الماء و أشرب و أقول يا رب أنا مضطر و دعوتك يا ربي اكشف عني السوء ، والله أُعيدت له إشاعة الرنين المغناطيسي والله ليس عنده شيء ، اللهم يا رب علّقنا بك ولا تعلّقنا بسواك ، اللهم اجعلنا أفقر خلقك إليك أغناهم بك ، أذل خلقك بين يديك أعزّهم بك ،اللهم اجعل القرآن لنا شفاء واجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وشفاء أمراضنا وذهاب همومنا وغمومنا.

إلى من يدعون غير اللّه

افتح القنوات و اسمع المناظرات ، ذاك يقول أن دعاء غير الله عز وجل ليس شركاً ! والآخر يقول الطواف عند القبور ليس بدعةً ولا شركاً وليس فيه بأس ، والآخر يقول نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى عن طريقهم ! فاترك هذه الأقوال واترك هذه المناظرات و ارجِع أعرض كل كلمة قالوها على كتاب الله عز وجل كما اتفقنا ، فهُنا يشع النور ، وهنا نجد ما تطمئن له القلوب ، نجد إجابات شافية ، الله عز وجل يقول (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) يقول دعهم يقولون ما يشاؤون (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) كلامهم ليس بحق ، الحق هنا في القرآن ، كل كلام وافق هذا الكتاب فهو حق (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)إذاً (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) سبحانك يارب !.

نطرح السؤال على كتاب الله عز وجل لنسمع ما قيل في هذا الكتاب من لدُن رب الأرباب سبحانه جل جلاله ، نطرح السؤال : نريد أن نذهب لندعو مقبوراً في قبره، صالحاً من الصالحين ، ولياً من الأولياء ، ملكاً مُقرب ، رسولاً مُرسل ، سندعوه من دون الله ، ماذا يقول الله عز وجل ؟ افتح معي سورة فاطر ، انظر إلى التفصيل ! انظر إلى الكلام ! بلسم ودواء وشفاء لتلك الجراح وتلك الأمراض التي أصابت القلب فمسّت فيه من الشرك وأصابت فيه من الشرك ما أصابت وعاثت وفعلت فيه الأفاعيل ، أقولها لكل من أشرك ، القرآن يقول أن من دعا غير الله مشرك ، أنا كاذبٌ إلى أن تسمع كلام الله ثم بعد كلام الله نتفاهم هل هذا شرك أم ليس شرك ، اتفقنا ؟ إن قُلت كلام من عندي أو فتوى لأحد المشايخ ردّها عليّ ولا كرامة ، إن قلت لك قال الله فتقول لي ليس هناك آية واضحة ، تعال و لا تعجل ، تعال حبيبي الغالي وتعالي أخيتي الغالية ، أنا سأذهب معك والله لأدعو غير الله إن أثبتّ لي من هذا القرآن أن دعاء غير الله ليس شرك ، ووالله لو كان حلالاً ما ذهبت ، ما دعوت غير الله وعندي الغني سبحانه فكيف وهو حرام بل شرك ! ، يقول الله عزوجل في سورة فاطر (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) هل يستطيع أحد أن يفعلها غير الله ؟ لا والله (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هل من أحد يستطيع ؟، يقول الله عزوجل في سورة فاطر (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) هل يستطيع أحد أن يفعلها غير الله ؟ لا والله (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هل من أحد يستطيع ؟ .

(كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى *ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) إي وربي ، أنا سأقول لك الآيات تِباعاً،لا تظن أنها من سور مختلفة(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ*وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) قبل أن ننطلق عند قبر من المقابر أقول لك يقول الله (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ*وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) نعم يا ربِّ أنا ذاهبٌ لأدعوه ، علمني عن حقيقته (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) انظر إلى الحقائق (مَا يَمْلِكُونَ) من تمرة ؟ لا، من نواة التمرة ؟ لا (مِن قِطْمِيرٍ) تعرف ما هو القطمير ؟ الغشاء الذي حول نواة التمرة ! الذي تُلقيه أنت لا تريده هو أصلاً لا يملكه ، فكيف بما تُريده ! تُصدق الله أو نذهب ندعوهم؟ ، أنت تريد منه كشف ضر ، وتريد منه تفريج كربة ، وتريد منه شفاء مريض يقول لك ليس لديه غشاء التمرة ! .

لو قلت لي سأذهب إلى أخيك ، أحد إخوتي وقلت لك أين سنذهب وقلت سنذهب لأخيك ، ماذا تريد منه ؟ قلت والله سأستدين منه ١٠٠ ألف وقلت لك والله أخي لا يملك ريال ، هل ستكمل وتذهب إليه ؟ أم تقول مادام أنه لا يملك لن أذهب إليه ؟ والله إنك كنت تصدقني لن تذهب ، ستتعب نفسك ولا يملك ريال وليس عنده جنيه ولا دينار ولا دولار ولا درهم ، لكن إن كنت تكذبني فاذهب ، لأجل هذا إذا كنت تصدق الله أن الله له الملك (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) وكل خلق الله دون الله : ملائكة ، أنبياء ، رسل ، صالحين، أولياء كلهم دون الله ، إذا كنت تصدق الله أنهم (مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ) إذاً والله ستقف كما أقِف تقول والله لا أدعوهم ، أكمل الآية إلى الآن لم تأتيك الفتوى ، الآن جاءك النهي فقط ، تُريد الفتوى ؟أكمل الآية التي بعدها (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ)حسنًا لو أنك كذّبت الله وذهبت ؟ .

يقول الله ذهبت وانطرحت عن القبر يا حسين.. يا ولي الله.. يا رضا ! (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ) تُصدق الله ؟ يعلم الله أن أكثر الناس لا يصدق و يقول : هم يسمعون قال الله (وَلَوْ سَمِعُوا) الهدف الذي ذهبت أنت لأجله لن تناله (وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) تصدق الله ؟ إلى الآن لم تأتي الفتوى، الآن كلها حقائق ، الذي تذهب إليه ليس عنده قطمير ، وأنه لا يسمعك ، ولو سَمِع ما استجاب لك ، نكمل الآية (لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) الله أكبر ! يُعلمك حقائق الآن وحقائق إذا مت وحُشرت يوم القيامة ! ، يوم القيامة ماذا يحصل يا رب ؟ (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) سيُخرج الله من دعا ومن دُعي ، من التجأ ومن التجأ إليه ، سيخرج الله الحسين رضي الله عنه وأرضاه وسيخرج كل من دعوهُ ، والرضا وكل من دعوهُ ، وعلي وكل من دعوهُ ، وسيخرج الأنبياء وكل من دعوهم ، وسيحضر الملائكة وكل من دعوهم ثم تكون المفاجأة وتكون المواجهة ، ماذا سيحصل فيها يارب ؟ (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بشرككم ! يعني ماهي الفتوى ؟ لم يقل يكفرون بذنبكم ، يكفرون بجريمتكم ، يكفرون بعبادتكم .. ببدعتكم ! قال (يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) إذًا سمّاه الله شرك ، ماذا قال الله في الآية التي بعدها ؟ (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) والله عندما قرأت هذه الآيات والله لا أدعو من دونك من لايملك قطمير ، والله يارب لا أدعو من دونك من لايسمع دعائي ، من إذا سَمِع لايستجيب ، والله لا أدعو من يأتي يوم القيامة ويقول لي : أنت مشرك ، بعد أن دعوته و التجأت إليه ، يارب أين أذهب ؟ انظر إلى الآية التي بعدها تفصيل ! يعلم الله أن عندك فاقة وعندك فقر وعندك مرض وعندك حاجة قال الله في الآية التي بعدها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ)ماذا يارب ؟.

(أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ) فقير في أنفاسك تدخل لا يخرجها إلا الله ، تخرج لا يدخلها إلا الله ! ، فقير في أولادك ، في صحتك ، في كل شيء لكن لست فقير لِمن تحت الأرض ! أنت فقير لِمن فوق السماء (أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ*وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) وأنت تقرأ في سياق الآية يُخاطب عقلك يقول (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) أنت إذا أردت من يقودك تذهب إلى بصير أم إلى أعمى ؟ تذهب إلى أعمى ! لا.. تذهب إلى بصير ،(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) تبحث عن غرض لك تُشعل الضوء ، لأنك لا تستطيع أن تبحث في الظلام ، (وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) تريد أن توقف سيارتك لا توقفها في مكان فيه شمس ، قال (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) يقول عقلك الذي ميّز بين الظلام والنور والظل و الحرور ، ألا يميز بين الأحياء والأموات! ، يعني لو أنهم بشر وأنت تريد أن تطلب خدمة ، تطلب من الحيّ أم من الميت ؟تطلب من الحي لأنه أقدر ، فكيف تترك الحي القيوم سبحانه وتطلب من شخص ميت مقبور ! قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ* إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ*وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ) وتذرون أحسن الخالقين !.

بعد هذا البيان أيُترك الله سبحانه وتعالى في دعائه ويُدعا معه أحد ؟! نعوذ بالله من ذاك الشرك وذاك الطغيان, أسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الشرك صغيره وكبيره، أوله وآخره ،باطنه وظاهره.

الشبهة والرد عليها

جاءني أحد أقربائي يقول أنه سمع أحد الدعاة في التلفاز وهو من أحد المذاهب التي ظلت الطريق وظلت كتاب الله سبحانه وتعالى ، وسنناقش الموضوع بكل صراحة من خلال كتاب الله فالحق أبلج ، الله عز و جل يقول سبحانه وتعالى (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) يقول الله عز و جل (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) القرآن واضح (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ *إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) دائمًا من يظل عن هذا القرآن يخترع له منهج جديد ودين جديد يعارض هذا الكتاب العظيم , فيبدأ يحرّف ويلوي أعناق النصوص حتى يثبت أن مبدأه حق ، هذا الرجل كان يُلّبس على الناس من إحدى المذاهب التي عُرفت بظلالها وتعبدها لغير الله عز و جل ودعائها لغير الله ، فكان يريد الآن أن يبرِّر قضية الطواف على القبور ، الدعاء على القبور يقول ليس فيه شيء ، انظر للشبهة الآن "يقول نحن الآن عندما نطوف على القبور نحن لا نعبدها" ! انظر للشبهة يقول نحن عندما نطوف على الكعبة هل نعبدها؟" فأكثر الجهلة وأبسط الناس يقول نعم صادق أنه عندما نطوف على الكعبة لا نعبدها نحن نعبد الله فنحن عندما نطوف على القبور لا نعبد الميتين بل ندعو الله ، فقلت لصاحبي إن استطعت أن تداخل في البرنامج فقل له في كتاب الله عز و جل جواب لهذا الكلام ، قل ما شئت أنت كما اتفقنا ستجد الجواب في كتاب الله وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لا تخرج عن هذا الكتاب .

لأن الله هنا أخبرنا (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ) (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)إذًا هذا الوحي ومثله معه ، قل له إذا وقفت أنا بين يدي الله وسألني لماذا تطوف على هذه الغرفة السوداء هذه الكعبة ؟ أقول يا ربي يا عظيم سبحانك قلت في كتابك الجليل الكريم (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أنت يا ربي أمرتني ، فقل لذاك المدّعي قل له الله أمرني أطوف بالكعبة أنت من أمرك تطوف بالقبر؟ أتحداك أن يتكلم ويقول هذا الكلام أمرني فيه الله أو أمرني فيه الرسول , بل أمرته شياطينه من الإنس والجن (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) الشركاء الذين عنده يعطونه كلام غير القرآن (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) الله أمرك تخترع على كيفك؟ (أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُرُونَ) إذا سألني الله عز و جل أقول قلت لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ) من قال لك طهّر القبر لأجل تطوف عليه ؟، فهؤلاء يفترون ويقولون هذا مثل هذا , لكن هذا ليس صحيح لأن قياسهم أعور ، هل الله يقول لنا كل شيء شبهته بشيء حلال ؟ لا ..لا يكون حلالًا قال الله عز و جل (قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) وهنا لم يقل الله صحيح كلهم فيهم مكاسب بل قال(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) إذا الله أحل لنا الطواف وما أحل لنا أن نخترع بالدِّين ونذهب للقبور وندعو أصحابها.

شبهته الثانية نحن لا ندعوهم ولا نعبدهم ، نحن فقط نتقرب بهم إلى الله عز و جل نقول تعالوا نرجع إلى كتاب الله ونرى هل هذه الشبهة مذكورة في القرآن أو نتبعكم ، إذا قاله الله عز و جل سنتبعكم (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)لكن لا تخترع لي شيء ، لأني أنا ما أُمرت أن أعبدك وأن أطيعك وأن أتبع مشايخك .

أنا أُمرت أن أتبع كلام الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ,هم يقولون؟ لا نعبدهم هؤلاء فقط يقربون إلى الله عز و جل ، تعال واقرأ سورة الزمر وقل له يقرأها حتى يتبين له الظلام الذي يعيش فيه يقول الله عز و جل (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) لا تدعوا مع الله أحد (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) يأتيك الجواب الآن (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ) انظر الآن كيف يكشف القرآن الستار عن هؤلاء (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء) ماذا سيقولون يا ربي ؟؟(مَا نَعْبُدُهُمْ)نحن لا نعبدهم فقط يقربوننا لله (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)سبحان الله نفس كلامكم مذكور في القرآن ،لننظر في آخر الآية هل الله حكم بينكم أم لم يحكم ! حكم فيكم أم لا ، قال أنتم صادقون أم كاذبون قال الله(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ)سبحانه أعطنا يا رب الحكم آخر الآية(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)سبحان الله والله قلتها لأحدهم قال لا يقربوننا لكن هل تنكر أنهم شفعاؤنا عند الله يشفعون لنا؟ قلت له انظر في سورة يونس(وإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنَا بَيِّنَاتٍ*قَالَ الَّذِينَ)يعطيك الكلام ويعطيك جوابهم (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا أو بَدِّلْهُ)لا يجوز لهم هذا الكلام الذي ليس به إلا عبادة الله وحده (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) لا،يقولون سندعي الحسين وندعو معنا مشايخ الصوفية وندعو معنا الأولياء والمقربين والملائكة (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ*قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي) الرسول عليه الصلاة والسلام يقول أنا لا أقدر أن أغيره و أقول لك ادعو مع الله أحد وهو يقول لاتدعو مع الله أحدا ،لماذا يا رسول الله لا تستطيع أن تُغير ؟.

قال(إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ*إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)
وأنتم لاتخافون؟ تخترعون وتخرجون شيء بالدِّين مَالَم يأذن به الله ,
،الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف أن يخترع بالدِّين قال (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ*قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ*فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ*أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ) انظر للكلام (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)جاء بكلام ليس بالدِّين (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ)لا تدعومع الله أحدا يقول بل ندعو مع الله أحدا(أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ *إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)ستكشف الظلمات الآن ،الآية التي بعدها ما هي؟قال الله(وَيَعْبُدُونَ)لاحظ هذه الكلمة وضع تحتها مئة خط سماها الله عباده وهم يقولون لا نعبدهم وسماها الله عبادة (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ) هو ميت (مَالَايَضُرهُم وَلَا يَنفَعُهُم وَيَقُولُون)إذا قلت له لماذا تدعو ميت سواء من الصالحين من المقربين من الأولياء لماذا تدعوه؟(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ)ما الذي يقولونه ياربي (هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ)يشفع لنا عند رب العالمين ،نكمل الآية لأجل يا نتبعكم أو نحذركم (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ) انظر للرد (قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ)هل تُعلم الله شيء لايعلمه ؟ ونسي يضعه في كتابه ؟ونسي ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم ؟(سُبْحَانَهُ)إي والله سبحانه (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا)عمَّا ماذا؟يفعلون ،يبتدعون،يقولون ،يجرمون؟لا،الوضع أخطر من ذلك بكثير (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)ألا تلاحظ أن كل شبهة يقولونها الله يقول في البداية يسميها عبادة ثم ينهيها بشرك أو كذب أو كفر،عرفت فالزم .

والله إني لك لناصح وعليك مشفق ، لاتستمع لمنخالف كلامه كلام رب العالمين ،اللهم نعوذ بك من الشرك اللهم نعوذ بك أن نشرك بك شيء نعلمه ونستغفرك لمالانعلمه وتذكر ياغالي وياغالية إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .

البدعة أشدٌ من الضلالة !

القرآن هو النور العظيم الذي من ضل عنه و من عاش عنه يعيشُ في ظلماتٍ دامسة و في ليلٍ مُظلمٍ بهيمٍ مُدّلهم قال الله جلّ جلاله (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) يعش يعني يُعرض , يعني يسمع هذا الكلام و لا يطبقه(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) القرآن يفصّل لك ما الذي سيحدث (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا) شيطان مُتخصص في كل واحد يبعد عن الكتاب عن كتاب الله (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)دائماً معه ! ماذا يفعل ؟ (وَإِنَّهُمْ)أي الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الجنة ، سبيل النور (لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) هذه مصيبة ! كارثة ! والكارثة التي أعظم منهافي نهاية الآية أن هذا الذي ضلّ و عاش في ظُلمات لا يشعر ! (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ)يظن أن أموره كلها طيبة ، و أنه يسير في أحسن الأحوال .. تعال أخي الغالي نعلم و ننظر و نُشعل هذهِ الأنوار من كتاب الله عز وجل حتى نرى أين النور و نذوق النور بعد الظُلمات ، كم الآن من الناس يحسب أنه يحسن صُنعًا و هو من الخاسرين ؟كما قال الله عز وجل (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) ما قال الخاسرين ! .

قال الأخسرين أعمالًا (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)معنى هذا الكلام أنه لا يكفي أنك تشعر أنك على صواب ، إذا لم تكن أفعالي و أعمالي موافقة لكتاب الله و سُنة نبينا محمد عليهِ الصلاة و السلام إذًا و الله نحنُ على ضلال و لو ظننا أننا على خير ! كم اليوم ممن يحتفل بالمولد النبوي تقول له تعال أنا أريد احتفل معك لكن ائتوني بكتابٍ من قبل هذا أو آثارة من علم لأجل أذهب معاك ، يا أخي أنا مُتعبدني ربي ما أضيع وقتي بشيء من تأليف أي بشر !! أنا تعبدني الله عز وجل بطاعة اثنين فقط .. الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم , فأي أمر يأتيني من حيث ما أعرف أقف هنا ! أقول لا و الله ، أنا أتعبد الله ألا يُعبد الله إلا بما شرع ، وشرطين لِقبول أي عمل:

" الإخلاص" أن أعمل العمل خالص لوجهِ الله .

" المتابعة " أنا أتابع النبي عليهِ الصلاة و السلام .

يقول بأبي و أمي عليه الصلاة و السلام " من عَمِلَ " أي إنسان ذكر أو أنثى , صغير , كبير " من عَمِلَ عمل ليس عليهِ أمرُنا "يعني ما شرعته و لا قلت له افعله بل اخترعه في الدين " فهو ردّ "أي مردودٌ عليه يعني لا يقبله الله سبحانه و تعالى ، و لا يُكتب في ميزان الحسنات ، بل يُكتب في ميزان البِدع و يُكتب في ميزان الافتراء ، يقول ابن مالك رحمهُ الله "من استحسن شيئاً لم يأتِ به النبي عليه الصلاة و السلام فقد اتهم النبي عليه الصلاة و السلام بعدم إكمال الدين" يعني أنت تقول الدين محتاج مولد ، يعني معناه الدين ليس كامل ! معناه أن تُكّذب بكتاب الله(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) ، القرآن كاملًا و السُنة كاملة ليس فيها أمر بأن نحتفل بمولد النبي صلى الله عليه و سلم ، تجده يحتفل بالمولد و يترك سُنة النبي عليه الصلاة و السلام !.

هل أنت تحب النبي عليه الصلاة و السلام ؟ نعم أحبه , الله عز وجل يقول(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) فأنتم ما مشكلتكم مع سنة النبي عليه الصلاة و السلام ؟ لماذا لا تطبق كلام النبي عليه الصلاة و السلام ؟ قال "من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ"

صليت خلف شخص في أحد الدول الخليجية صلاة التراويح و بعد السلام من الصلاة من كل ركعتين في التراويح كان يقوم من بعد التسليمة و يقول و صل اللهم و سلم على نبينا محمد , فلما انتهينا من الصلاة قلت له حبيبي الغالي أنت بعد السلام تقول و صل اللهم و سلم على نبينا محمد !قال سبحان الله ! الصلاة على النبي عليه السلام فيها شر ؟ هذا خير ! قلت ممتاز هو خير لكن هل النبي عليه الصلاة و السلام إذا سلّم من صلاته يقول و صل اللهم و سلم على نبينا محمد ؟ قال لا ، قلت ماذا يقول ؟ قال يقول استغفر الله استغفر الله استغفر الله ، قلت يعني أنت خير من محمد عليه الصلاة و السلام ! قال لا أعوذ بالله ، قلت حسنًا إذا أنت تقول هذا خير ، قال لا بس هذه صلاة على النبي عليه الصلاة و السلام !حسنًا أعطني شخص أتبعه ، أنت أحسن أم هو عليه الصلاة و السلام لأجل أعرف ، قال لا هو الرسول صلى الله عليه و سلم لكن أنا أريد أصلي على الرسول عليه الصلاة و السلام !قلت إذا أنا سجدت بدل ما أقول سبحان ربي الأعلى سأقول "قل هو الله أحد ، الله الصمد " قال لا ، لا يجوز ! قلت لماذا ؟ هذا خير أيضًا ، هذا أحسن من الصلاة على الرسول هذا قرآن هذا كلام الله عز وجل ، قال لا لأن النبي عليه الصلاة و السلام علمنا نسّبح ، قلت سبحان الله ! إذًا أنت تتبع النبي عليهِ الصلاة و السلام أم تتبع الذي عندك ؟ يا جماعة يجب أن نخرج الناس من الظُلمات إلى النور و نخرج أنفسُنا ، يجب تواجههم بالحقيقة (قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) ؟.

هَديك أحسن أم النبي عليهِ الصلاة و السلام ؟

لأجل هذا من مداخل الشيطان الستة أول واحد الشِرك إذا ما قدر عليك ، يأتي للبدعة إذا ما قدر يذهب للكبيرة ، لماذا البدعة أكبر من الكبيرة ؟ نعم ، لماذا ؟ لأن البدعة هي أسوأ من الكبيرة و أكثر جُرم من الكبيرة لسببين :

السبب الأول/أن صاحبها الذي يعملها يشعر أنها صحيحة فمستحيل يتوب منها ، أما صاحب الكبيرة شارب الخمر يعلم أنها ذنب !

السبب الثاني/أن صاحب البدعة يُمررها لأهله و أصحابه و أولاده يعلمهم إياها ، لكن صاحب الكبيرة حتى الذي يدخن لا يدع أولاده يدخنون !

سبحان الله ! هذا الذي يجعل البدعة أسوأ من الكبيرة ، البدعة الآن شخص يصلي مثلًا ثم ركع ثم رفع وقال ربنا و لكَ الحمد و لكَ الشكر ، نقول له حبيبي الغالي الشكر هذه ما قالها النبي عليه الصلاة و السلام ، يقول سبحان الله ما هذا التعقيد ! كلمة الشكر يا أخي أشكر الله ، نقوله أشكر الله على ما علمك رسول الله ليس على ما اقترحت أنت ، قل له من الذي قال الشكر ، لا الله و لا رسوله عليه الصلاة و السلام ، و النبي صلى الله عليه و سلم قال صلوا كما رأيتموني أُصلي ، و ما قال شكر قال أحسن من الشكر ، تريد الأحسن ؟؟ النبي عليهِ الصلاة و السلام قال ربنا و لك الحمد حمداً كثيراً طيبًا مُباركاً فيه ملأ السماوات و ملأ الأرض ، لماذا كلمة الشكر تدقق فيها ! لأننا سنضيع الأجيال التي بعدنا ، أنا أصلي بجانب ولدي الآن و قلت ربنا و لك الحمد و زدت الشكر ، فولدي يوم من الأيام نجح و شعر أن الله مُتفضل عليه فقال ربنا و لك الحمد و لك الشكر .. لا تكفي و لك الشكر الجزيل يا رب ، أتت ابنتي ناجحة قال الشكر الجزيل ؟ .

لا ربي يستحق أكثر من هذا .. لك الشكر الجزيل يا رب بأكثر شكر في العالم ثم جاءت الأجيال بعدها صلاتهم ليس لها دخل في الذي فعله النبي عليه الصلاة و السلام ، صلاة عجيبة جديدة !! لأجل هذا "من أحدث في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردّ" ، ابن مسعود رضي الله عنه : كان يُحدّث و يقول عنه أصحابه كان يُحدثنا و كان يقول قال الله قال الله قال الله و لا يقول قال رسول الله ، قالوا فكان يوم من الأيام قالَ : قال الله ثم ذكر الآيات ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليهِ و سلم ، ثم كان قاعداً فقام , ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فانتفخت أوداجه ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم حلّ شيئاً من إزاره ثم قعد ، ثم أنزلَ بصره إلى الأرض ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم جاء بالحديث ثم قال لأصحابهِ أو نحو هذا أو قليل منه لستُ متأكداً أو حول هذا ،فاستغرب الصحابة ، فقال إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول "من كّذب علّي مُتعمداً فليتبوء مقعده من النار و إن كذباً علّي ليس ككذبٍ على أحد" ، لو شخص منا الآن سمع قرار من الديوان الملكي أو المجلس الرئاسي أن الذي يداوم يوم الخميس أو يوم الجمعة يُعطى إجازة أسبوع ، هل ظنكم سينشر الخبر ؟أمي جلس يتأكد و يتّثبت و يبحث ، يا جماعة لماذا أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام نأخذ أي كلام قاله بشر مثل رسائل تُوزع كتلك الرسالة التي نُشرت رأى حامل مفاتيح الحرم النبوي أن النبي عليه الصلاة و السلام قال قل لأمتك ينشرون هذهِ الرسالة و الذي لا ينشرها سينقلب إلى كذا و سيحدث له كذا و سيموت أبناءه, يا جماعة ما هذه التفاهات ! نحن ليس مصدر ديننا منامات ! .

هذا يا جماعة عند الضُلّال الذي يقول نمت و رأيت الرسول صلى الله عليه و سلم و قال لي افعل كذا ، الدين كامل لا يحتاج أحلام(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ، و عندما يأتيه حديث صحيح (مَن صَلَّى الصُّبحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ، فَلا يَطلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) هذا الحديث الصحيح لا يهزه ! لكن الكلام الفاضي يهزه و ينتفض و يرّسل ، لا تُرسل ولا تنشر إلا ما تأكدت منه , سيسألك الله و يوقفك على كل من أرسلت لهم و أنت لم تتأكد أن هذا حديث صحيح أو ليس حديث صحيح ، و إذا أردت تتأكد ؟ اسأل أهل العلم أهل الذكر ، ما استطعت يوجد في الإنترنت موقع الدُرر السنية , اكتب الحديث يعطيك الدرجة و الخُلاصة هل هو صحيح أو لا ، تأكد (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَك بِهِ عِلْم إِنَّ السَّمْع وَالْبَصَر وَالْفُؤَاد كُلّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)

هذا و أُصل و أُسلم على أشرف خلق الله أجمعين .

ختامًا

يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس :٥٧-٥٨).

وقال رسوله ﷺ :" اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه "

(فإذا أردت الانتفاع بالقرآن ؛ فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألقِ سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطابٌ منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم) (١).

ملأ اللّه قلوبنا إيمانًا وجعلها ربيعًا مورقًا ..
والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١)- ابن قيم الفوائد ٣٩ ، أي تمثل حال سماعك القرآن أو تلاوتك له بحقيقة كونه خطابًا يتنزل من الرب سبحانه عليك أنت ، واستشعر بأنك أنت المقصود به ابتداءً دون غيرك من البشر .

هل القرآن نور ؟

هل هو كفيل أن يحل مشاكلي
ومشاكلك منذ أن نُخلق إلى يوم القيامة ؟
هل هذا القرآن نزل لعهد النبي صلى اللّه
عليه وسلم فقط ؟
أم مازال يعيش معي ومعك خطوةً بخطوة ؟
سُمّي هذا البرنامج بـ (من نور القرآن)
لأن نور القرآن أعظم نور ،
دعونا نتفكِر فيه ونستمع لآياته ،
لماذا أُنزل هذا الكتاب ؟
كل الأسئلة سيجيبك اللّه عليها
في هذا القرآن.